المصلحون العظام

الجزء الثاني



العلامة محمد إقبال لاهوري

بقلم
سيد تقي سيد حسين الموسوي

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب

المصلحون العظام

الجزء 2

العلّامة

محمد إقبال لاهوري

تأليف

سيد تقي سيد حسين الموسوي

فصول الكتاب

مصادر الكتاب

*القرآن الكريم.

*كتاب هكذا تكلم عيسى عليه السلام من تأليف سيد تقي سيد حسين الموسوي.

*بديع الزمان فروزانفر في كتابه (من بلخ إلى قونية) ترجمة عيسى علي العاكوب نشرة دار الفكر سوريا عام 2006.

*محمد عبد السلام كفافي في كتابه (الدراسات الفارسية في مصر وجهود عبد الوهاب عزّام) مجلة الكتاب العربي عدد 44 يناير 1969.

*عبد الوهّاب عزّام في كتابه (التصوف وفريد الدّين العطّار) نشرة حديثة أعادت طباعتها مؤسسة هنداوي القاهرة عام 2013.

*محمد عبد السلام كفافي في كتابه (مثنوي جلال الدين الرومي) الجزء الأول نشرة المكتبة العصرية بيروت.

*احمد أمين وزكي نجيب محمود في كتابهما (قصة الأدب في العالم) الجزء الأول.

*فريد قطاط في كتابه (الرمزية والتمثيل في قصّة العميان والفيل) وقائع الندوة التي أقيمت بمناسبة المئوية الثامنة لوفاة مولانا جلال الدين الرومي نشرة المجمع التونسي للآداب والفنون قرطاج عام 2009.

*عارف تامر في مقالين له نُشرا في مجلة الدراسات الأدبية ببيروت.
*مصطفى غالب في كتابه عن الرومي الذي نُشر في دار الأندلس بيروت.

*بركة محمد سيد (14 أغسطس 2015). الديوان الشرقي للمؤلف الغربي .. غوته المتيّم بالإسلام.

*ماهر مصطفى (1 نوفمبر 1979). كتب في الفيصل. الديوان الشرقي الغربي الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

*محمد القاضي (2010). معجم السرديات. المنهل.

*بعلي حفناوي (2018). الترجمة وجماليات التلقي – المبادلات الفكرية الثقافية دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.

*عبود عبده (2002). العلاقات الأدبية السورية الألمانية المعاصرة واقعها وآفاقها مجلة جامعة دمشق.

*والي نجم (2019). آلام الشاب فرتر. دارالمنهل.

الانترنت

مقدّمة الكتاب

أريد أن أهمس إليكم سرّا وهو أن موضوع هذا الكتاب العلّامة محمد إقبال لاهوري ليس شخصا عاديا بل هو نابغة قلّ نظيره في عالم النبوغ. ما تقول في شاب سافر الى انجلترا وأوروبا للدراسة ثم نظر هناك بثاقب نظره وصفاء بصيرته الى حضارة الغرب فتحسّر عليها لضياعهم في غياهب الجبّ أبد الآبدين لا يستطيعون الخروج منها؟

فقد انغمست أقدامهم في مستنقعات هذه الحضارة. وشرّ البليّة هو أنهم لا يرون الباطل باطلا كالجاهل المركّب لا يعرف أنه جاهل بل العكس إنه يفكّر إنه عالم. كذلك هم يرون الحضارة الغربية حقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره.

ليس عهدي بإقبال جديدا فلقد كنت أقرأ الكتب تحت القناديل (حيث لم يكن هناك كهرباء في عمان في تلك الأيام حوالي عام 1946) وأنا في السنة العاشرة من عمري. في تلك الأيام قرأت إقبال وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد وكيمياء جابر بن حيّان وكثيرا من كتب علم النفس.

ولا أزال أذكر كلمة قصيرة من إقبال لاهوري حيث قال باللغة الإنجليزية وأنا أترجمها الآن الى اللغة العربية: إن الجنة والنار حالات وليست أماكن. ولا أعني أنا بقيت على هذه العقيدة فقد تغيّرت كثيرا منذ ذلك الوقت. ولا زالت تهزّني الآية الكريمة في سورة يس: وضرب مثلا ونسي خلقه قال من

يحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل شيء عليم.

عاش إقبال فترة في انجلترا وأوروبا وليت شعري ماذا رأى **!!!** إن أقرانه الهنود كانوا كثرا في تلك البلاد وقد انغمسوا في المستنقعات النتنة وأمضوا أيامهم في لهو ولعب. إلا أن إقبال اكتشف في فترة قصيرة مدى كثرة عيوب هذه الحضارة الغربية ومدى شدّة خطرها على العالم. لم ذلك؟ لأنهم اختاروا الإلحاد والماديّات وابتعدوا عن المثل العليا والأخلاق والقيم السامية والدين والروحانيّات والجانب الإلهي من وجودهم.

وجد إقبال أن حضارتهم محكومة بالاندثار لأنهم فصلوا الدين والروح عن حياتهم اليومية. إن هذه الشخصية تكوّنت عند الغربيين منذ نعومة أظفارهم بسبب أشكال مختلفة من غسل الدماغ. فتجذرت عندهم العجب والغطرسة وخفتت فيهم صفات التواضع وغابت الحكمة عن حياتهم وأطبقت عليهم الغيوم السوداء من التوجّهات خارج أنفسهم وابتعدوا عن الكنوز في داخل أنفسهم:

*بما فيها من الأنوار الإلهية والإشراقات العرفانية والكتاب والحكمة من الدين وتعاليم الأنبياء الخالدة.

*وبما فيها من العوالم السامية التي تربطهم بالله العظيم من أواصر الروح اللطيفة ونقاء النفس وصدقها وإخلاصها وسلامة القلب من متاع الدنيا الفانية وعلاقة الروح بالأخلاق السامية والعوالم اللامتناهية وبالله الذي خلقهم ويخلقهم.

يا ليت شعري! من يخلق الآن ملايين الخلايا كل لحظة بدل الخلايا التي تموت !!!

ولولا الخلايا ما أبصروا وما سمعوا وما ذاقوا وما شمّوا وما نطقت ألسنتهم وكانوا صمّا بكما عميا فهم لا يبصرون !!!

وما استطاعوا المشي بأرجلهم من دون خلايا ولا البطش بأيديهم من دون خلايا ولا ظلّت قلوبهم تضخّ الدماء في أجسامهم من دون خلايا وما جرت دماؤهم في شرايينهم وأوردتهم من دون خلايا وما عملت أكبادهم ولا كلاهم ولا الرئتان من دون خلايا وما استطاعوا التنفّس زفيرا وشهيقا من دون خلايا وما استطاعوا الأكل والشرب من دون خلايا الى آخره !!!

نعم برز هناك عظماء (وهناك دائما نفوس أصيلة ذات الفطرة الصافية لا تتأثر بغسيل الدماغ وتبقي على إصالتها الفطرية) اكتشفوا هذه العيوب الفادحة كالشاعر الألماني غوته[1].

نشر كتاب إقبال (رسالة الشرق) بالفارسيّة في عام 1924 والذي يقارن عادة بكتاب الشاعر الألماني غوته (ديوان الغرب). يتحسّر غوته على الغرب لانغماسه الفائق في الماديّات ويتوقّع من الشرق أن يصدر رسالة الأمل لإنعاش القيم الروحيّة.

---

[1] كتبت عن غوته بالتفصيل في آخر الكتاب

إن إقبال يصوغ أسلوبه بحيث يذكّر الغرب بأهمية الأخلاق والدين والحضارة وذلك بالتأكيد على الحاجة الى صقل الأحاسيس والحماسة والحيويّة. ويؤكّد إقبال أيضا أن الفرد لا يستطيع أن يطمح الى أبعاد عالية إلا إذا تعلّق بالقيم الروحيّة.

بدأ اهتمام غوته بالمشرق في مرحلة ستراسبورغ بتأثير من صديقه هردر. وفي تلك الفترة قرأ غوته القرآن في ترجمة ماراسيوس اللاتينية وترجم بعض الآيات إلى الألمانية (الآيات 74-79 من سورة الأنعام).

كما أطلع على الأشعار والملاحم العربية وأعجب بشدة بالشعر الفارسي لحافظ شيرازي وأصدر ترجمة جديدة لديوانه. وقرأ ديوان الشاعر الفارسي حافظ شيرازي في ترجمة المستشرق النمساوي يوزيف فون هامر بورغشتال.

كما تأثر بأبي تمام والمعلقات السبع فترجم بعضها إلى اللغة الألمانية عام 1783 بمساعدة هردر مثل معلقة امرئ القيس التي ترجم منها 61 بيتا. وقرأ لفحول الشعراء من أمثال امرئ القيس وطرفة بن العبد وعنترة بن شداد وزهير بن أبي سلمى وغيرهم.

وشرع أيضا في تلك الفترة بكتابة مسرحية عن النبي محمد ص والتي لم تكتمل. كما تأثر بعدد من الشعراء مثل المتنبي الذي تظهر بعض ملامح أشعاره في رواية فاوست.

وقد وضعته هذه الدراسات الشرقية في حالة «ابتهاج إبداعي» أشار إليه لاحقًا باسم «المراهقة المتكررة». **فكتب الكثير من القصائد بنبرة حافظ المرحة والخفيفة خلال فترة زمنية قصيرة.**

ظهر الديوان في الأعوام 1816-1818 على دفعات ثم نشر في كتاب واحد عام 1819. ويقسّم إلى 12 فصلا بعناوين فارسية مع ترجمتها الألمانية. ويحمل عنوانا عربيا هو «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي». ويتجلّى فيه حوار الشاعر مع القرآن والشعر الصوفي ويفتتحه غوته بقصيدة «هجرة»:

الشمال والغرب والجنوب تتناثر

وعروش تنفجر وممالك تتزعزع

فلذا أنت في الشرق الطاهر

لتنعم بنسيم الآباء الأقدمين

هناك حيث الطهر والنقاء

أريد أن أنفذ إلى أعماق الأصول

أجناس البشر

حيث تلقوا من الله

تعاليم السماء بلغة الأرض

ولم يكذبوا أذهانهم

في كتابه «المدرسة الرومانسية» مدح هاينريش هاينه مجموعة القصائد مشيراً إلى أن غوته قد وضع فيها «أكبر استمتاع ثمل بالحياة

في أبيات شعرية وهي خفيفة جداً ومرحة جداً وتلقائية جداً لدرجة أن المرء يتساءل كيف يمكن شيء كهذا في اللغة الألمانية».

وتحسّر على بني جلدته آملا أن يزحف إليهم الشرق يوما ما بقيمها العليا والأخلاق السامية والمثل الرفيعة والصدق والإخلاص والأمانة ووفاء العهد وسلامة القلوب ونقاء الفطرة والسيطرة على الشهوات والانتصار على هوى النفس والرجولية والفروسية والحبّ وحياة العشق الجميلة وأن يعفوا عمّن ظلمهم ويحلموا إزاء من أساء إليهم ويصلوا من قطعهم ويحسنوا الى من أساء إليهم. وأهمّ من كل ذلك **أن يحبّ لغيره ما يحبّ لنفسه ويكره لغيره ما يكره لنفسه وهذا سيّد الأخلاق ومعيار تعاليم الأنبياء والأولياء.**[2]

2

لقد ذكرت في كتابي (هكذا تكلّم عيسى عليه السلام) في فصل (شوق الله في الأمم) التالي:

قال عيسى عليه السلام لحوارييه:

أما أولئك الذين لا يعلمون شيئا عن الأنبياء فإني أقول لك إذا كان هناك رجل منهم لا يعلم شيئا عن الأنبياء بيد أنه يستضيئ بهداية من قلبه ولا يحب لغيره ما لا يحب لنفسه ويعطي جاره ما يحب أن يأخذ منه مثل هذا الرجل لا تخذله رحمة الله ولا يخرج عن كنف الرحمة الربانية. ولهذا سوف يعطيه الله ناموسه عند موته بفضل منه ورحمة إن لم يكن أسرع من ذلك.

ولكن هيهات! إن الحق والباطل لا يجتمعان. إن الحضارة الغربية تتصف بالبعد عن الدين والأخلاق والمثل العليا وإن في جوفها تكمن عوامل التدمير الذاتي والغباء والفسق والفجور والكذب والنفاق وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا !!!

وجد إقبال أن المشاكل العصريّة تظهر بسبب الماديّة والإلحاد وعدم الإيمان بالله والظلم وعدم العدالة الذين يمتّان الى الحضارة العصريّة بصلة وثيقة والتي تتغذى على القهر والإخضاع واستغلال الأمم الضعيفة ونهب ثروات الأمم.

باح إقبال بأفكاره عن الايديولوجية الإيرانية والصوفية الإسلامية. وعلى الخصوص باح بعقيدته بأن الصوفية الإسلامية تفعّل الروح الباحثة الى مستويات عالية من الفهم والإدراك.

وبحث إقبال أيضا مفهوم (الله) وأمور الفلسفة ومعنى الصلاة والروح البشرية والثقافة الإسلامية وكذلك المشاكل السياسية والاجتماعية والدينية.

دعي إقبال الى جامعة كامبريج كي يشارك في المؤتمر في عام 1931 حيث باح بأفكاره الى الطلاب والمشاركين الآخرين وخصوصا عن موضوع فصل الكنيسة عن الدولة حيث خاطبهم قائلا:

(أودّ أن أقدّم بعض النصائح الى الشباب الذين يدرسون في جامعة الكامبريج في الوقت الحاضر. أنصحكم أن تحموا أنفسكم من الإلحاد والماديّة. إن الخطأ الفادح الكبير الذي اقترفته أوروبا هو فصل الكنيسة عن الدولة. هذا الأمر حرم ثقافتهم من روح الأخلاق والمعنويّات وتسبّب في انحرافهم الى الالحاد والماديات.

قبل 25 سنة لاحظت العيوب في هذه الحضارة وبحت ببعض النبوءات التي أطلقتها بلساني رغم أني لم أفهمها جيدا. حدث هذا في عام 1907 وبعد ست أو سبع سنوات تحققت نبوءاتي حرفا بحرف. إن حرب أوروبا في عام 1914 كان نتيجة الأخطاء الفادحة التي ذكرتها والتي ارتكبتها الشعوب الأوربية في فصل الكنيسة عن الدولة.)

هذا العلّامة المعجزة كان كأحد الطلّاب الهنود الذين توافدوا على أوروبا للدراسة لكنه كان بينهم كالذهب المكنون في التراب والطين. نظر ببصيرة الى الحضارة الغربية وعرف عيوبها ومخاطر السقوط فيها. ومن بيئتهم عرّفهم بالمستنقعات التي غرقت أقدامهم فيها وغاصت ومن بحرهم عرّفهم بالعواصف التي بهم هاجت وماجت.

كيف تحققت نبوءاته في خلال ستّ سنوات وتورّطوا في حرب عشواء ضارية أكلت الأخضر واليابس وأزالت الملايين من فوق الأرض لا لشيء إلا لغبائهم وغطرستهم كما هم اليوم لا يتعلّمون شيئا من دروس وعبر بل

بالعكس يزدادون قسوة وضراوة وكأنهم وحوش ضارية في الغابات يأكل القويّ فيها الضعيف.

وهم مستعدّون الى يومنا هذا للإبادة الجماعية كما تفعل إسرائيل الآن عامي 2023-2024 في غزة وكما فعلوا في الماضي بالهنود الحمر وسكّان أفريقيا والجزائر وناميبيا وسائر الأمم لا يخافون الله بل إن جلّ فكرهم قد تورّط في الإجرام لنيل بعض الذهب والجواهر والبترول في أيامنا هذه ولدسّ المال الحرام في جيوبهم التي لا تشفى من مرض العطش للمال ونهب الشعوب. إنهم يحبون المال حبا جما ويأكلون التراث أكلا لمّا.

اسمع ما يقوله إقبال عن الحضارة الغربية وتنبؤاته عن سقوطها لا من غزو خارجي بل من عوامل تدميرهم الذاتيّة الكامنة في حضارتهم - شعرا باللغة الأردية وحوّلتها الى مثنويات باللغة العربية:

لسان الحجاز تكلّم وأعلن / إليّ ببشرى وكبّر وأذّن

بأن العهد الذي على الصحراء نزل / يعود علينا وكالأمطار يهطل

بأن الأسد الذي من الصحراء بان / والذي أسقط الإمبراطورية الرومان

وشيكا سينهض ويبعث للحياة / من طول نوم وعمق السبات

ملاكي أخبرتني سرّا وعن قرب / فعودوا الى رشدكم يا ساكني الغرب

العالم الواسع ليس حكرا عليكم / والذهب المصفّى حسب أوهامكم

وشيكا يفقد القيمة الافتراضية / عيّنتها ثقافتكم الواهية

حضارتكم وشيكا بأيديكم تنتحر / بما في جوفها من خناجر

بنيتم قصورا على قشرة هشة / وشيكا ستنهار وتختفي القشة

عجيب جدا أمر هذا العلّامة سطّر هذه الأشعار في عام 1905 وبعد مائة وعشرين سنة يهزم هذا اليمن الصغير جدا الإمبراطوريتين العظيمتين أمريكا وإنجلترا **!!!** واللتين بقيتا عاجزتين أمام هذا اليمن الذي قال عنه الرسول ص قبل 1400 سنة: **الإيمان يمان والحكمة يمانيّة.**

ونرى بأمّ أعيننا غزّة الصغيرة جدا تهزم إسرائيل (القوة الثالثة في العالم) وتفضحها فضيحة كبرى أمام العالم ومن ورائها الإمبراطورية الأمريكية العظمى والإمبراطوريات العظمي في أوروبا. وهذه المنطقة الصغيرة جدا (فلسطين ومن جملتها غزة التي حول المسجد الأقصى) يقول الله تعالى عنها: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ (سورة الإسراء الآية الأولى).

يقول الله تعالى بأنه عز وجل بارك حول المسجد الأقصى ليري رسول الله ص من آياته. وفي البركة من المعاني العظام ما لا تتصوّره **!!!**

إن هذه الأبيات من الشعر هي **مرآة إقبال** تنعكس عليها بوضوح التنبّؤات التالية:

*وقوع الحرب العالمية الأولى في عام 1914

*وقوع الحرب العالمية الثانية في عام 1939

*تورّط الولايات المتحدة الأمريكية في حرب كوريا في جنوب شرق آسيا – على بعد آلاف الكيلومترات من أمريكا – حيث قتل كثير من الأبرياء وأدّى أخيرا الى هزيمة أمريكا وانسحابهم المذلّ من تلك الأراضي.

*تورّط فرنسا في حرب لاوس في جنوب شرق آسيا – على بعد آلاف الكيلومترات من فرنسا – حيث قتل كثير من الأبرياء وأدّى أخيرا الى هزيمة فرنسا وانسحابهم المذلّ من تلك الأراضي.

* تورّط فرنسا في حرب الجزائر حيث قتل كثير من الأبرياء وأدّى أخيرا الى هزيمة فرنسا وانسحابهم المذلّ من تلك الأراضي.

*تورّط الولايات المتحدة الأمريكية في حرب فيتنام في جنوب شرق آسيا – على بعد آلاف الكيلومترات من أمريكا – حيث قتل كثير من الأبرياء وأدّى أخيرا الى هزيمة أمريكا وانسحابهم المذلّ من تلك الأراضي.

*تورّط الولايات المتحدة الأمريكية في حرب أفغانستان – على بعد آلاف الكيلومترات من أمريكا – حيث قتل كثير من الأبرياء وأدّى أخيرا بعد عشرين سنة الى هزيمة أمريكا وانسحابهم المذلّ من تلك الأراضي.

*تورّط الولايات المتحدة الأمريكية في حرب العراق وسوريا – على بعد آلاف الكيلومترات من أمريكا – حيث قتل كثير من الأبرياء ولا زالوا يقتلون وسوف يؤدّي أخيرا لا محالة الى هزيمة أمريكا وانسحابهم المذلّ من تلك الأراضي.

*وقوع حرب غزّة في العامين 2023-2024 ولا زالت قائمة.

*حرب باب المندب في العامين 2023-2024 ولا زالت قائمة حيث أوقفت اليمن منذ نوفمبر 2023 السفن الإسرائيلية أو التي تحمل البضائع

الى موانئ إسرائيل من عبور باب المندب حتى توقف إسرائيل حربها الظالم على غزة وتدخل المواد الغذائية والماء والدواء والأجهزة الطبية ومستلزمات العلاج الى أهل غزة الذين جوّعتهم إسرائيل وعطّشتهم ومنعت عنهم الدواء والعلاج واعتدت على المستشفيات وقضت على الجرحى والطواقم الطبية أو أسرتهم ظلما وعدوانا ومن دون رحمة ولوّثت آبارهم حتى يموتوا عطاشى أو يصابوا بأوبئة خطيرة والأمراض المعدية كالكبد الوبائي ومرض الكلى ويعانوا منها حتى الموت حيث لا وجود للمستشفيات التي دمّرتها إسرائيل أو تفسد عليهم الزراعة حتى لا يزرعوا شيئا. ولا تفكّر أن كل هذا حدث عفويا بسبب الحرب بل إسرائيل فعلتها وتفعل الآن عن عمد وعن سابق إصرار !!! هل من أحد يعاقبهم على هذه الجرائم الفظيعة يا ترى؟

*حرب باب المندب في عام 2024 حيث تدخّلت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في الحرب وقصفت اليمن بالطائرات والصواريخ وما زالت. ولم تخف اليمن ولا استسلمت بل أوقفت هذه المرة السفن الأمريكية والبريطانية عن دخول باب المندب وأجبروها على السفر عن طريق كيب تاون في جنوب أفريقيا واضطرّوا لقصف سفنهم التي لم تطعهم بالصواريخ والمدفعية. وبلغ الأمر بهم الى حدّ أنهم أغرقوا يوم أمس سفينة بريطانية وهذا ما لم يحدث لها نظير منذ الحرب العالمية الثانية.

*إنشاء دولة باكستان.

وهذه التنبّؤات العظيمة (سواء التي لمّح إليها إقبال صراحة أو فهمت سياقا) لا تصدر إلا عن رجل عظيم ملهم ألا هو العلّامة محمد إقبال لاهوري.

وسوف تلاحظ أن معظم هذه الحروب الشرسة ليست متناسبة مع أسبابها وشنّت لأسباب واهية لا تنطلي إلا على الغربيين ذوي الحضارة الغربية لا لسبب إلا لأنهم:

*يحبّون الحروب وسفك الدماء وقتل الأبرياء من الأطفال والنساء والرجال لأنهم تجرّدوا عن الدين والقيم الروحية والمثل العليا واتّصفوا بالتكبّر والغرور والغطرسة وابتعدوا كثيرا عن التواضع وحسن الأخلاق.

*يحبّون المال حبّا جمّا والقيمة والسمة المتميّزة في الحضارة الغربيّة هي المال فهم يحبّون الحروب لأنها تدرّ على مصانعهم الحربيّة – أي مصانع تصنيع الأسلحة – الأرباح الخياليّة التي تدخل في جيوب أصحاب القرار وهذا ما يسعدهم في الحياة ولا يهمّهم سفك دماء الأطفال والنساء والرجال لأنهم لا قيمة لهم في أعينهم رغم ادّعاءاتهم المنافقة الكاذبة بحقوق الإنسان وحقوق الإنسان لا تساوي في نظرهم شيئا.

فعلى سبيل المثال كما قال عبد الملك الحوثي: حقوق المرأة في الغرب تتلاشى إذا كانت المرأة فلسطينية والمعتدي هو العدوّ الإسرائيلي !!! عند ذلك لا بأس عندهم أن تموت المرأة جوعا وعطشا وأن ترى أطفالها أمامها ممزّقين إربا إربا أو أحياء جرحى لا علاج لهم ولا دواء. يعانون أمراضا معدية بلا دواء ولا علاج حتى يموتوا وأمراضا مثل السرطان يصرخون من الآلام والأوجاع حتى يموتوا أمام ذويهم أو أعين الأمهات الثكلى او تحت الأنقاض لا تدري أحياء هم أم أموات !!!

كل هذه المعاناة والأمراض ولا توجد أدوية لتهدئة آلامهم وأوجاعهم أو يجرون لهم عمليات جراحية من دون تخدير !!! كما كان يحدث في القرون الوسطى.

وليس في جعبتي إلا أبيات من الشعر أواسيهم بها كي يقيموا على الكفاح والجهاد أمام الظالمين:

فيا أطفال غزة وأبطالها / صبرا على الأوجاع والآلام
سيأتي الفرج الذي نرتجيه / سيأتي الصباح بعد الظلام
كما طال ليل المصائب والدجى / كذا الصبح يأتي بالابتسام
فمهما اشتدّ ظلم الظالمين / فالله يحكم بسيف الانتقام
فلا قوة فوق قهر الإله / وهو القاهر فوق الأنام
جرت على الأرض قانون الإله / فالله يبلونا بنار اللئام
على الأرض يبلونا بأعدائه / كما الذهب في أتون نار حامي
ويمتاز الخيار عن الشرار / وتمتاز الجواهر عن ركام
وتمتاز اللئالئ عن حصاة / وتمتاز القصور عن الخيام
وتمتحن الخلائق بابتلاء / وتمتاز الخواصّ عن العوام
ويمتحن الحليم بشرّ خلق / وتمتاز الخيار عن اللئام

ولا يفوتنا أن نذكر أن شعوب أوروبا وأمريكا (لا الحكومات طبعا) استيقظت ضمائرهم وملأوا الدنيا بالمظاهرات والاحتجاجات كل يوم أو كل أسبوع ولكن دون تأثير يذكر على حكوماتهم !!!

ونأمل أن يظهر هذا التأثير على حكوماتهم بعد حين. وما أكثر ما ذكرت أمريكا حقوق الإنسان في حرب أوكرانيا مع الروس واحتجّت بها في المحافل الدولية وفي الأبواق الإعلامية. ولكن في حرب غزة ختمت الأفواه بالشمع الأحمر وكأن حقوق الإنسان تصدق في أوكرانيا ولا تصدق في غزة. وما أعجب هذا الفكر الأمريكي وهذا الفكر الأوربي وازدواجية القيم والنفاق التي فضحتهم بها حرب غزة وقامت مظاهرات الضمير في جميع أنحاء العالم بعد أن انكشفت لهم أكاذيب أمريكا وإسرائيل !!!

وعن هذه الوحشية والهمجيّة في القرن الواحد والعشرين التي يندى لها حتى جبين هولاكو وجنكيز خان قرأت اليوم في وسائل التواصل الاجتماعي ما يلي (بعد إجراء بعض التعديلات):

(أمريكا وصناعة "حضارة التوحّش": سعت الولايات المتحدة منذ عقود لصناعة حضارة أبعد ما تكون عن الأخلاق والقيم والفضيلة. وفي الواقع فلقد سعت الى تكريس انحطاط الإنسان بصناعة غابة توحّش ترأسها هي ومن يسايرها ممن أسمتهم "المجتمع الدولي" ذاك المصطلح الذي بات يعبّر عن مجتمع أمريكا السياسي والحربي والاستعماري.

في غابة التوحّش هذه تبدو المفاهيم البديهية واضحة الدلالات عصيّة على الفهم مشوشة وتحتاج الى إثباتات.

وكما أشارت إحدى الكاتبات في مقالها "غيّرتنا غزّة للأبد" بأننا في حضارة عجيبة تكون السرقة فيها بصفتها عمل غير أخلاقي في مسيس الحاجة لتقديم دلائل على كونها غير أخلاقية.

وهكذا القتل بما فيه قتل الأطفال وأبشع أنواع القتل وهدم المستشفيات والمدارس والمنازل على رؤوس من فيها من الرضّع والعجزة والنساء والأطفال (وكثير منهم ربما أحياء تحت الأنقاض يعانون أياما وليالي جوعا وعطشا حتى يموتوا ظلما وعدوانا) يحتاج لدليل ملموس يؤكّد أن ذلك كله في حاجة للتحقيق لكي يتمّ التأكد من كونه عملا لا أخلاقي.

غابة أمريكا المتوحشة هذه بدأت قبل عقود طويلة بحرب لا هوادة فيها على الله لأجل إخراجه من التفكير والاعتبار. فلقد عملت مؤسّسات أمريكا الإعلامية وفي إطار الترفيه – هوليوود مثلا – على تحويل الإله الى فكرة تنبت في العقل قهرا وليست فكرة تكون انعكاسا للواقع الخارجي.

هذا النوع من غسيل الدماغ تمّ بعد جهود كبيرة بذّلت لصياغة تعريف للعلم لا يدعم فكرة وجود الإله بالمرّة رافقه عمل رصين وهو جعل كل ما هو خارج عن تعريف العلم في أبجديات الغابة المتوحّشة مساويا للعدم ولم ننتبه

نحن الى المسار الكارثي الذي ننقاد إليه رغم أننا نحمل عقيدة التوحيد وبين أيدينا كتاب فيه كلام الله بحسب معتقدنا.

ذلك لأن التطوّر التقني الذي راهنت عليه أمريكا ليكون (نبيّ العصر) تمكّن منا تماما. فبتنا لا نستطيع أن نتخيّل أن حضارة رفدت الى الأمم هذا التطوّر التقني من الممكن أن تكون متوحّشة الى مقدار **لعق دماء الأطفال وإماتتهم جياعا**.

حتى سطع نجم "غزة" وسط فوران الدماء ونزف الجراح وبكاء الأطفال ونحيب النساء لتوجد انقلابا حقيقيا في ضمير الأمم وينقشع الضباب الذي ظلّ جاثما على أعيننا لأمد وتظهر معه معالم التوحش والإجرام العالمي الذي صنعت له أمريكا هذه الحضارة التي نعيشها نحن اليوم.

إنه عالم متوحش للغاية فالإبادة الجماعية التي يمارسها الصهاينة بإملاء أمريكا في فلسطين السليبة وبأسلحة أمريكا الفتاكة في حاجة الى أن ترفع ضدها "دعوى قضائية" وإلا من دونها وكأن شيئا لم يكن**!** لقد ختمت أفواه دعاة حقوق الإنسان بالشمع الأحمر**!**

يا للعجب**!** إن أمريكا راعية الإرهاب والقتل العالمي تلقي أمس ببطاقة الفيتو في وجه الهدنة الإنسانية الفورية في غزة (والتي يقتل فيها الأطفال والنساء يوميا نهارا جهارا وأمام الكاميرات ويمنع عنهم الطعام والماء والدواء والعلاج ويقطع عنهم الكهرباء وتلوّث آبارهم حتى لا يبقى لهم ماء إلا ماء يورث الأوبئة**!** ويتعدّى على المستشفيات ويأسر طواقمها ومرضاها ويعذبون من دون حسيب ورقيب لأن أمريكا تدعمهم بالسياسة والأسلحة الفتاكة) والتي اقترحتها الجزائر على مجلس الأمن بناء على القرارات التي صدرت عن محكمة العدل الدولية (واستعملت أمريكا نفس الفيتو قبل ذلك مرتين).

هل هناك ثمة من لا يزال مرتابا في أن الولايات المتحدة قد صاغت هذه الحضارة على أنقاض الضمير الأخلاقي؟

لو لم تختتم مسيرة الأنبياء بآخرهم ص لكانت أمريكا اليوم تحشد مجتمعها الدولي لقتال (الأنبياء) لأن التطوّر التقني سيكون إحدى أشدّ وسائل الفتك والولوغ في دماء الأبرياء كما نرى ذلك اليوم.

لو لم تختتم سلسلة المبعوثين بالوحي لكانت الولايات المتحدة قد لطّخت أيديها بدماء الأنبياء وعملت على إقناعنا بضرورة قتل الأنبياء. وما أسهل ذلك عندما يتم طرد الإله من حياة الإنسان ثم تصبح المثليّة حالة طبيعية يعاقب عليها المعترض ثم تشنّ حربا على "الجيندر" وختاما تنقلب البديهيات لتصبح أفكارا في حاجة لإثبات.

الصراع اليوم هو في مقدرة الإنسان في الحفاظ على إنسانيته في غابة التوحش الأمريكية هذه ومقدرة أمريكا على القول "لا" للفيتو الخبيث الذي تتستّر خلفه !!!!!!!!!). انتهى ما قرأته.

ويذكر الأستاذ أبو الحسن الندوي أن العلامة محمد إقبال لاهوري زار فلسطين في عام 1931 وكان مما قاله وهو في فلسطين:

ولما نزلنا منزلاً طلّه الندى
أنيقًا وبستانًا من النور حاليا
أجدّ لنا طيب المكان وحسنه
مني تمنينا فكنت الأمانيا

نجده هنا يتمنّى أن يحطّ الرحال ويظلّ في بلد القدس وأرض مهبط الرسالات. ومن أقواله في افتتاح المؤتمر الإسلامي العام عام 1931:

«على كل مسلم عندما يولد ويسمع كلمة لا إله إلا الله أن يقطع على نفسه العهد على إنقاذ الأقصى».

بمجرد النظر الى ما تفعله الآن الصهاينة في غزة بدعم مباشر من أمريكا والإنكليز وفرنسا وألمانيا ومعظم الدول الأوربية يتضح تماما نهارا جهارا وتحت ضياء الشمس الذي لا يمكن له أن يختبئ عن الأنظار ما كان يقوله العلامة محمد إقبال لاهوري بأن من فصل الدين عن الدولة في حياته العادية ومسخ بالإلحاد والماديّات وجرّد من الإيمان بالله وسموّ الروح والنور الإلهي لا يبقى منه إلا شراسة الضباع والكلاب المسعورة والحيوانات الوحشية الضارية القاسية الأخرى التي تسيح في الغابات بل أكثر من ذلك بكثير.

لأن الحيوانات رغم شدّة ضراوتها وقساوتها لا يمكن لها أن تقتل الملايين من البشر كما فعل هؤلاء في الحربين العالميتين الأولى والثانية وفي هيروشيما اليابان وفي كوريا وفي فيتنام وفي لاوس وفي أفغانستان وفي العراق وفي سوريا وما تفعله الآن في غزة من دون رحمة ولا رقيب ولا حسيب! وصدق من قال: من أمن العقوبة أساء الأدب!

هم يتعاطون الكذب بكل راحة كما يشربون الماء! يجري الكذب والنفاق في دمائهم وعظامهم ونخاعهم وأعصابهم وعضلاتهم وشرايينهم! وصدق الرسول ص حيث قال: أحب لغيرك ما تحبه لنفسك!

هم يحبّون كل شيء لأنفسهم وينهبون ثروات الشعوب ويقتلون من أجل ذلك الملايين!

هم عند الأقوياء جبناء وأذلّة خاسئون وعند الضعفاء قساة شرسون وقاتلون فتّاكون ومجرمون نذلون ولؤماء النفوس وسود القلوب لا يحترمون إلا القوّة!

وإذا عرفت حقا ما قاله العلامة محمد إقبال لاهوري ستعرف حتما أنه قد تنبّأ بما يحدث الآن في غزة وما حدث حديثا في أفغانستان وسوريا والعراق وليبيا وفيتنام ولاوس وكوريا واليابان ناهيك ما حدث من إجرامهم في ناميبيا وسائر البلدان الأفريقية وما حدث من قسوتهم وضراوتهم إزاء الهنود الحمر الذين قتلوا بأيديهم بالملايين!

ما أعظم فظائع إجرامهم! فعلوا ويفعلون ذلك لأنهم فصلوا الدين عن حياتهم واعتنقوا الإلحاد والماديات وتركوا القيم الروحية وراء ظهورهم!

لماذا دين محمد باق الى يوم القيامة؟ لقوّة المثل العليا والأخلاق السامية والإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه في هذا الدين الحنيف! لا ينقطع اسم محمد في الأذان على سطح هذه البسيطة أبدا ولا ينقطع نور محمد عن قلوب المؤمنين ما دامت السموات والأرضون!

لقد ابتلى الله سبحانه وتعالى أمريكا وأوروبا بالإلحاد والماديات وتبعا لذلك بهذه العواقب وما أخزاها! إنه ظلم هم اقترفوه بأنفسهم إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون! (سورة يونس الآية 44).

ويقول الله تعالى في الآية 76 من سورة الزخرف: وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين.

ويقول الله تعالى في الآية 118 من سورة النحل: وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

ويقول الله تعالى في الآية 177 من سورة آل عمران: وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

ويقول الله تعالى في الآية 57 من سورة البقرة: ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

ويقول الله تعالى في الآية 101 من سورة هود: وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم.

إلى كثير من الآيات الكريمة في القرآن المجيد بهذا الصدد.

ودعني أعطي المجال للطفل الغزّاوي أن يتكلم بنفسه بما عاناه من أهوال بربريّة وهمجيّة إسرائيل ودعم أمريكا وإنجلترا وبقية أوروبا لها:

أنا الطفل غزة
أبواي ماتا بعزّة
كلّ أهلي شهداء
في جوار الأنبياء
غدرا قصفنا في المنام
أحياء بقينا تحت الركام
شرّ البريّة قتلونا
بالخسّة العمياء أفنونا
كنا في منازلنا آمنين
يعمّ الأسرة حبّ حنون
نلهو ونلعب لعبا بريئا
نعيش كما أنتم عيشا هنيئا

إلى أن جاءت بلايا المنون
وصبّوا علينا الحقد الدفين
حقد نمى في نفسهم
واسودّ منها قلبهم
ضدّي أنا الطفل البري
لماذا أنا الطفل الطري
فما اقترفت ذنبا ضدّهم
ولا نويت شرّا نحوهم
من الطفولة حقدا يغذون
وفي قلوبهم سوادا ينمّون
في تلك الليلة نحن نيام
نغطّ في النوم والأحلام
صبّوا علينا لهبا ونيران
سفكوا دماء الأهل والجيران
وما شعرت إلا وأنا
تحت أنقاض مبنانا
وصراخ أهلي يملأ الآذان
وكذا الصراخ من الجيران
إن اليهود قضوا علينا
ونعم الجيران حوالينا
بقينا أياما تحت الحجارة
نعاني الأسوأ بالمرارة
ونصرخ من وضع مرير
ومن الجروح والكسور
والدماء الغزيرة تسيل منا
أخيرا خفتت أصواتنا
من الضعف والتعب الشديد
من عجزنا بالشكل الأكيد

سمعت صوتا بعد أيام
يأتي من خارج الحطام
إني حملت بأيدي
أنقذتني من الموت الأسود
وكنت يتيم الأم الحنون
يتيم أبي المشفق المعين
وأنا الآن في المشفى
كي أعالج للشفا
أفتقد أمي وأبي
وأخواتي والحنان وحبي
كانوا معي بالأمس
رحلوا جميعا الى الرمس
إنني في الدنيا وحيد
لا أمّ لا أب في الوجود
الجوع والعطش وآلام
تلازمني لا ماء ولا طعام
وفي المشفى أعاني داء
لا علاج ولا دواء
همّوا بتجويعي وقتلي
ومعاناتي بأيّ شكل
لماذا كل هذا الظلم بي
وأنا بريء من كل ذنب
الكهرباء هم قطعوا
ومرضانا قد جوّعوا
فهل ما نراه هي الحضارة
أم بربريّة عصر الحجارة
كم سمّموا آبارنا
كم قطّعوا أشجارنا

كم أفسدوا زيتوننا
كم جوّعونا كم عطّشونا
ما أغرب حضارتهم
ما أكثر مجازرهم
نهب وقتل والدمار
بئس الحضارة يا مستجار
بئس الذئاب الضاريات
في شكل خرفان بريئات
وجوههم وجه المساكين
وقلوبهم مثل السكانين

سيد تقي سيد حسين الموسوي
مؤلف
كتاب العلامة محمد إقبال لاهوري
2024/3/11
يوم الإثنين
مع أطيب التمنّيات لحلول شهر رمضان المبارك
غدا في يوم الثلاثاء إن شاء الله تعالى

من هو العلّامة

محمد إقبال لاهوري

محمد إقبال هو إقبال ابن الشيخ نور محمد. هو فيلسوف مسلم هندي وهو أيضا مؤلّف وسياسي. شعره يعتبر من روائع الشعر العالمي في القرن العشرين. كانت رؤيته الثقافية والسياسية هي المثل الأعلى للمسلمين في الهند التي كان يحكمها البريطانيون وتعتبر الدافع الرئيسي لخلق بلد مسلم هو باكستان وانفصاله عن الهند. وكان يلقّب ب (العلامة).

ولد في سيالكوت ـ إحدى مدن البنجاب الغربية – من عائلة كشميرية عريقة. ولد في الثالث من ذي القعدة 1294 هجري الموافق 9 نوفمبر 1877 ميلادي وهو المولود الثاني من الذكور.

يعود نسب إقبال إلى أسرة براهميّة الديانة حيث كان أسلافه ينتمون إلى جماعة من (البانديت) في كشمير من قبيلة (سابرو) من قرية جنوب كشمير المسمّاة (كولجارن) إلا أن أحد أجداده اعتنق الإسلام في عهد السلطان زين العابدين بادشاه 1421 – 1473م قبل حكم الملك المغولي الشهير أكبر. كان إقبال يتكلم بالأردو والبنجابي في حياته اليومية.

نزحت عائلة جدّه في القرن التاسع عشر إلى سيالكوت في البنجاب عندما انتصرت امبراطورية السيخ في كشمير. نشأ إقبال في سيالكوت ودرس

اللغة الفارسية والعربية إلى جانب لغته الأردية. أكمل البكالوريوس والماجستير في الكلية الحكومية في لاهور. علّم اللغة العربية من عام 1899 الى عام 1903 في الكلية الشرقية في لاهور.

كان أبو إقبال الشيخ نور محمد خيّاطا. توفي في عام 1930 وكان رجلا متديّنا إلا أنه لم يتعلّم في المدارس النظامية. وكانت أمّه (إمام بيبي) كشميرية من بلدة (سامبريال) وكانت متواضعة ومؤدّبة تساعد الفقراء وكانت عونا لجيرانها في حلّ مشاكلهم. توفيت في سيالكوت في عام 1914. وكان إقبال يحبّ والدته ورثاها بمشاعر الشفقة والحزن.

وكانت زوجته تسمّى (سردار بيكم) وكان له منها أربعة أطفال: جاويد إقبال وآفتاب إقبال ومنيرة بانو وميراج بيكم. ويقع ضريحه في لاهور في باكستان.

كان إقبال يذكر دائما في كتاباته جذوره الكشميرية ويحيي ذكراها. يذكر الفيلسوف (شيميل) أن إقبال كان يذكر في كتاباته دائما بأنه ابن البراهمانيين الكشميريين وأنه اعتنق حكمة مولانا الرومي والتبريزي. كان إقبال متأثرا كثيرا بمولانا الرومي والفيلسوف الألماني نيتشه وارسطوطاليس وأحمد (سير هندي).

أثناء هذه الفترة كتب الأشعار بغزارة باللغة الأردية. من روائع شعره الشائعة للأطفال في عام 1905:

*دعوة الطائر

*النشيد الوطني

كان وثيق الصلة بأحداث المجتمع الهندي حتى أصبح رئيسا لحزب الرابطة الإسلامية في الهند ثم العضو البارز في مؤتمر الله آباد التاريخي حيث نادى بضرورة انفصال المسلمين عن الهندوس. ورأى تأسيس دولة إسلامية اقترح لها اسم باكستان.

توفي إقبال في عام 1938 في سن الستين بعد أن اشتهر بشعره وفلسفته وقد غنّت له أم كلثوم إحدى قصائده وهي «حديث الروح».

رحلة العلّامة
محمد إقبال لاهوري
في طلب العلم

بدأ محمد إقبال تعليمه في سنّ مبكّرة على يد أبيه. في سن الرابعة من عمره أرسلوه الى المسجد لتلقّي كيفيّة قراءة القرآن الكريم. تعلّم اللغة العربية على يد معلّمه سيد مير حسن أستاذ اللغة العربية في الكلية في سيالكوت.

ثم التحق بأحد مكاتب التعليم في سيالكوت. وفي السنة الرابعة من تعليمه رأى أبوه أن يتفرّغ للعلم الديني ولكن أحد أصدقاء والده وهو الأستاذ سيد مير حسن لم يوافق وقال: "هذا الصبيّ ليس لتعليم المساجد وسيبقى في المدرسة".

وانتقل إقبال إلى الثانوية حيث كان أستاذه مير حسن يدرّس الآداب العربية والفارسية وكان قد كرّس حياته للدراسات الإسلامية. تخرّج من الثانوية في عام 1893 ثم تلقّى شهادة دبلوم الفنون من كلية الفنون في عام 1895. وأتمّ إقبال دراسته الأوّلية في سيالكوت ثم بدأ دراسته الجامعية باجتياز الامتحان العام الأول بالكلية الحكومية التي حصل منها على بكاليريوس في الفلسفة والأدب الإنجليزي واللغة العربية في عام 1897 واكتسب ميدالية

جلال الدين لإنجازاته في اللغة العربية. ثم حصل على درجة الماجستير من نفس الجامعة في عام 1899 واكتسب المرتبة الأولى في الفلسفة.

بدأ إقبال في كتابة الشعر في هذه المرحلة المبكرة وشجّعه على ذلك أستاذه مير حسن. فكان ينظم الشعر في بداية حياته بالبنجابية ولكن السيد مير حسن وجّهه إلى النظم بلغة الأردو. وكان إقبال يرسل قصائده إلى ميرزا داغ دهلوي الشاعر البارز في شعر الأردو حتى يبدي رأيه فيها وينصحه بشأنها وينقحها. ولم يمضِ إلا فترة بسيطة حتى قرّر داغ دهلوي أن أشعار إقبال في غنى تام عن التنقيح.

كان إقبال تحت نفوذ تعليمات معلّمه في الفلسفة في الكلية الحكومية في لاهور (سير توماس ارنولد) كي يتابع دراسته العليا في الغرب.

وتلقّى إقبال دراساته الفلسفية في نفس الكلية على يد الأستاذ توماس أرنولد وكان أستاذًا في الفلسفة الحديثة وفي الآداب العربية والعلوم الإسلامية في جامعة لندن.

وبعد أن حصل إقبال على الماجستير عُيّن عميدًا للعربية في الكلية الشرقية لجامعة البنجاب وحاضر حوالي أربع سنوات في التاريخ والتربية الوطنية والاقتصاد والسياسة. وصنّف كتابًا في «علم الاقتصاد».

ولم يصرف التدريس محمد إقبال عن الشعر بل ظلّ يشارك في محافل الأدب وجلسات الشعر والتي يسمّونها في شبه القارة «مشاعرة».

زيجات العلّامة
محمد إقبال لاهوري

تزوّج إقبال لاهوري أربع مرات تحت ظروف مختلفة:

*الزواج الأول كان في عام 1895 عندما كان عمره 18 سنة. وكانت عروسه كريم بيبي ابنة طبيب كجراتي اسمه خان بهادور عطا محمد خان. أخت كريم بيبي كانت أمّ الموسيقار خواجا خورشيد أنور. كان زواجهما بترتيب عائلي وكان لهما طفلان: بنت اسمها ميراج بيكم ولدت في عام 1895 وتوفيت في عام 1915. وولد اسمه آفتاب إقبال ولد في عام 1899 وتوفي في عام 1979 وكان محاميا في المحاكم العليا. وكان له ولد آخر قيل إنه توفي عند الولادة في عام 1901. انتهى زواج إقبال وكريم بيبي الى الطلاق في عام 1910 رغم ذلك فإنه استمرّ في دعمه المالي لها حتى وفاتها.

*وكان زواج إقبال الثاني في تاريخ 26 أوت 1910 مع ابنة أخت حكيم نور الدين.

*كان زواج إقبال الثالث مع مختار بيكم في ديسمبر 1914 مباشرة بعد وفاة والدته في نوفمبر. أنجبت منه ولدا بيد أن الولد مع والدته ماتا سويّا بعد ولادة الطفل بوقت قصير في عام 1924.

*كان زواج إقبال الرابع مع سردار بيكم ورزقا بطفل اسمه جاويد إقبال (1924-2015) وطفلة اسمها منيرة بانو (ولدت في عام 1930). صار جاويد إقبال قاضيا في المحكمة العليا في باكستان ولا زال أحد أولاد منيرة بانو نائبا للرئيس الاجتماعي يوسف صلاح الدين.

رحلاته إلى العالمين الغربي والشرقي

كان إقبال تحت نفوذ تعليمات معلّمه في الفلسفة في الكلية الحكومية في لاهور (سير توماس ارنولد) كي يتابع دراسته العليا في الغرب.

سافر الى لندن في عام 1905 حيث أكمل البكالوريوس الثاني في كامبريج في عام 1906. كان يعرف جيّدا الفلاسفة الغربيين من أمثال نيتشه وبرجسون. وقبل سفره الى بريطانيا اكتشف العلامة إقبال العارف الكبير مولانا جلال الدين الرومي (مولوي) ومثنويّته[3]. وكان يعلّم (المثنوي) لصديقه (سوامي راما تيرتا). وفي المقابل كان سوامي يعلّمه لغة (سانسكريت). التحق في لندن بكلية الثالوث في جامعة كامبريج حيث حصل على البكالوريوس في عام 1906. هذه الشهادة أهّلته لكي يصبح محاميا كما كان شائعا في ذلك الزمان.

في عام 1907 سافر إقبال إلى ألمانيا كي يتابع دراساته في الدكتوراه. حصل هناك على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة ميونخ في عام 1908 وكانت رسالته في الدكتوراه (تطوّر علوم الميتافيزيك في ايران).

[3] مجموعة أشعار مولوي الصوفية

وكان (هانس هاسو فون فلتهايم) أحد زملائه الطلاب في ميونيخ والذي اتفق أن زار إقبال في اليوم الذي سبق وفاته.

في عام 1907 كان له صداقة حميمة مع الكاتب عطيّة فيضي في بريطانيا وألمانيا والذي نشر مراسلاته مع إقبال في وقت متأخّر. عندما كان إقبال في هايدلبرج في عام 1907 علّمه أستاذه الألماني (ايما ويجيناست) عن مسرحيّة مأساة الشاعر غوته. وعلّمه أيضا عن نيتشه وهاينه. أتقن اللغة الألمانية خلال ثلاثة أشهر. سمّي شارع في هايدلبرج باسمه.

أثناء دراسته في أوروبا بدأ إقبال يكتب الشعر باللغة الفارسيّة. ولقد فضّل أن يكتب باللغة الفارسيّة لأنه كان أسهل عليه التعبير عن آرائه بهذه اللغة. واستمرّ في كتابة الشعر باللغة الفارسيّة طوال عمره.

كان في كل أسفاره في اوروبا يعمل على نشر الإسلام. وأثر بشعره وأسلوبه في كثير من الأوروبيين ومنهم موسوليني حيث وجّه له دعوة عقب مشاركته في مؤتمرات المائدة المستديرة في لندن عامي 1930 – 1931.

وكان منظّم الزيارة الدكتور سكاربا حيث كان معجبًا بفكر إقبال وإيمانه بالإنسان وقدراته. وذهب بالفعل إلى ايطاليا والتقى بموسوليني وألقى محاضرة في روما يبيّن فيها الفرق بين مذهب كلّ من الحضارة الغربية والشيوعية والحضارة الإسلامية. ووضّح فيها رأيه حول أسباب تخلّف المسلمين وأن من أهمّ أسباب هذا التخلّف هو البعد عن دينهم. وذكّر الناس بماضي المسلمين وحضارتهم.

ثم زار إقبال اسبانيا في عام 1932 بعد أن حضر مؤتمر الدائرة المستديرة الثالث وحرص على مشاهدة المعالم الإسلامية هناك فيقف أمام جامع قرطبة وقفة مؤمن شاعر. ومما قاله في قرطبة:

لحـورية الغرب وجه جميل
وجنـاتها أذنت بالرحيل
على العين والقلب كن ذا حذر
سماؤك فيها جمال القمر

ويقصد بحورية الغرب هنا مدينة قرطبة.

عودة العلّامة
محمد إقبال لاهوري
إلى وطنه

عاد إقبال إلى شبه القارة الهندية في شهر يوليو من عام 1908 بعد أن قضى مدّة في أوروبا ما بين دراسات علمية وزيارات لدول عربية وإسلامية. وأفادته هذه المدة في التدرّب على منهج البحث والإلمام بالفلسفة الغربية. ومكث في لاهور وقدّم طلبا لتسجيله محاميًا لدى القضاء الرئيسي وتمّ تسجيله بالفعل.

ولكن في مايو عام 1909 عُيّنَ أستاذًا في الفلسفة في كلّية لاهور ولم توافق المحكمة في أول الأمر على أن يتولّى منصبين في الحكومة. لكنها في نوفمبر عام 1909 وافقت على تعيينه وصدر قرار تحت عنوان: "الموافقة على تعيين محامٍ في المحكمة كأستاذ مؤقت في كلية الحكومة". وكان ذلك استثناءً لإقبال وهذا يصوّر لنا مدى أهمّية إقبال ومكانته في البلاد.

انخرط إقبال في مهنة المحاماة بيد أن تركيزه الأساسي كان على تأليف كتب أكاديمية في السياسة والاقتصاد والتاريخ والفلسفة والدين ولم يشعر إلا أنه خلق للأدب الرفيع. هو معروف في أعماله الشعرية باللغة الفارسية مثل (أسرار النفس) و (رموز الفناء) حيث اكتسب جمهورا في ايران وعرف هناك بلقب (العلامة إقبال لاهوري).

استمرّت هذه الثنائية حوالي عامين ونصف استقال بعدها من العمل بالتدريس ليكون أكثر تفرّغًا للمحاماة وممارسة القانون وذلك نتيجة لحبّه لمهنة المحاماة والحقوق. وكان يتابع المؤتمرات والاجتماعات التي كانت تعقدها الجامعة حيث كان له دور واضح في إصلاح حالة التعليم في بلده في هذا الوقت.

العلّامة

محمد إقبال لاهوري

في حضرة

الأدب

كتب إقبال أشعاراً كثيرة يحث المسلمين منذ أول نشوئه الفكريّ والشعريّ. وجاء في ديوانه (صلصلة الجرس) قصيدة ترجمها الشاعر المصري الصاوي شعلان تحت عنوان (شكوى وجواب شكوى). وتبدأ الشكوى بكلمة (حديث الروح) ولذلك سمّيت أغنية أمّ كلثوم لأبيات مختارة من القصيدتين باسم حديث الروح.

من أقواله في مسجد قرطبة:

نسيمك عذب رقيق الهبوب
أيا جامعًا فيك جمع القلوب
أيا جامعيّ خصّني بالنـظر
أنا المؤمن الحق فيمن كفر
لكم حسن شوقًا لربّ العباد
وإيمـانه زاد دومـًا وزاد

وقصيدة (شكوى وجواب شكوى) يضعها بعض الباحثين بين روائع الأدب العالمي. وألقى شاعر الإسلام في مدريد محاضرة بعنوان: «العالم الفكري للإسلام واسبانيا».

ومما قاله في قصيدة شكوى:

من ذا الذي رفع السيوف
ليرفع اسمك فوق هامات النجوم منارا
كنا جبالا في الجبال وربما سرنا
علـى مـوج البحار بحارا
بمعابد الإفرنج كان أذاننا
قبل الكتائب يفتـح الأمصارا
لم تنس إفريقيا ولا صحراؤها
سجَداتنا والأرض تقذف نارا
وكأن ظلّ السيف ظـلّ حديقـة
خضراء تنبت حولنا الأزهار
لم نخش طاغوتا يحاربنا ولو
نصب المنايا حولنا أسوارا
ندعو جهارا لا إله سوى الذي
صنع الوجود وقدّر الأقدارا
ورؤوسنا يا رب فـوق أكفنا
نرجو ثوابك مغنما وجوارا
كنا نرى الأصنام مـن ذهـب
فنهدمها ونهدم فوقها الكفارا
لو كان غير المسلمين لحازها

كنزًا وصاغ الحليّ والدينارا
ومن الألى حملوا بعزم أكفهم
باب المدينة يوم غزوة خيبرا
أم من رمى نار المجوس فأُطفِئت
وأبان وجه الحق أبلج نيّرا
ومن الذي بذل الحياة رخيصة
ورأى رضاك أعزّ شيء فاشترى
نحن الذين إذا دعوا لصلاتهم
والحرب تسقي الأرض جاما أحمرا
جعلوا الوجوه إلى الحجاز وكبّروا
في مسمع الروح الأمين فكبّرا

ما بال أغصان الصنوبر قد نأت
عنها قماريها بكل مكان
وتعرّت الأشجار من حلل الربى
وطيورها فرّت إلى الوديان
يا رب إلا بلبلا لم ينتظر
وحي الربيع ولا صبا نيسان
ألحانه بحر جرى متلاطما
فكأنه الحاكي عن الطوفان
يا ليت قومي يسمعون شكاية
هي في ضميري صرخة الوجدان
اسمعهمُ يا رب ما ألهمتني
وأعد إليهم يقظة الإيمان
أنا أعجمي الدنِّ لكن خمرتي
صنعُ الحجاز وكرمها الفينان
إن كان لي نغم الهنود ولحنهم

لكن هذا الصوت من عدنان

زار إقبال أفغانستان على إثر دعوة وجّهها له نادر شاه ملك أفغانستان ومرّ في إحدى رحلاته على مصر وقابل بعض شبابها وأعجب بشابّ مصري. فرح الشاب فرحا شديدا عندما علم أن إقبال مسلم ويقرأ القرآن.

وقيل إن إقبال لبس الطربوش بسبب المحادثة التي دارت بينه وبين هذا الشاب.

ويذكر الأستاذ أبو الحسن الندوي أنه زار فلسطين في عام 1931 وكان مما قاله وهو في فلسطين:

ولما نزلنا منزلاً طلّه الندى
أنيقًا وبستانًا من النور حاليا
أجدّ لنا طيب المكان وحسنه
مني فتمنينا فكنت الأمانيا

نجده هنا يتمنّى أن يحطّ الرحال ويظلّ في بلد القدس وأرض مهبط الرسالات. ومن أقواله في افتتاح المؤتمر الإسلامي العام عام 1931:

«على كل مسلم عندما يولد ويسمع كلمة لا إله إلا الله أن يقطع على نفسه العهد على إنقاذ الأقصى».

لم يكن العلّامة كاتبا غزيرا فحسب بل كان أيضا محاميا معروفا. فلقد ظهر أمام المحكمة العليا في لاهور في محاكمات مدنية وجنائية. هناك أكثر من مئة أحكام باسمه.

ترجم شعر إقبال الى لغات أوربية عدّة في أوائل القرن العشرين. وترجم كتبه (أسرار معرفة النفس) و (الخلود) الى اللغة الإنكليزية من قبل نيكلسون وآربيري.

تأثيره في مجريات السياسة في شبه القارة الهندية

كان إقبال مؤيّدا قويّا لإحياء عالم إسلامي من الناحية السياسيّة والروحيّة وعلى الخصوص للإسلام في شبه قارة الهند. وكانت مجموعة محاضراته بهذا الخصوص ظهرت في عام 1930 في كتابه: (إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام). انتخب في المجلس التشريعي في البنجاب في عام 1927 وشغل مناصب عدّة في الرابطة الإسلامية في الهند.

في خطابه في الجمعيّة السنويّة للرابطة الإسلاميّة في عام 1930 في مدينة (الله آباد) صاغ إقبال إطارا سياسيّا للمناطق ذات الأغلبيّة المسلمة في غرب شمال الهند وحفز الرابطة على نظريّة إنشاء شعبين – المسلم والهندوسي.

في أغسطس من عام 1947 (تسع سنوات بعد وفاة إقبال) أنشئت دولة باكستان بعدما فسح تقسيم الهند المجال لإنشاء دولة باكستان – الدولة الإسلاميّة المستقلّة الجديدة – جرى فيها تكريم إقبال كشاعر وطني.

وبالإضافة الى ذلك فإن العلامة محمد إقبال لاهوري معروف في المجتمع الباكستاني أيضا كحكيم الأمّة ومفكّر باكستان. يعتبر تاريخ ميلاده في 9 نوفمبر كعطلة عامّة في باكستان.

أظهر إقبال ميوله وعلاقته بالشئون الوطنية في باكورة شبابه. اعترف به النخبة البنجابية بعد عودته من إنكلترا في عام 1908 وكان مرتبطا عن قرب مع ميان محمد شافي. بعد توسّع الرابطة الإسلامية في عموم الهند الى المستوى الإقليمي وحينما تلقّى شافي دورا مهمّا في تنظيمات الرابطة الإسلامية البنجابية أصبح إقبال أحد الأمناء المشتركين الثلاثة الأوائل مع شيخ عبد العزيز ومولوي محبوب عالم.

بقي إقبال ناشطا في الرابطة الإسلاميّة رغم توزّع معظم وقته بين ممارسة المحاماة والشعر.

لم يؤيّد إقبال دخول الهند في الحرب العالميّة الأولى وبقي مرتبطا عن قرب بالزعماء السياسيين المسلمين من أمثال محمد علي جوهر ومحمد علي جناح. كان ينتقد تيّار حزب المؤتمر الوطني الهندي الذي كان يعتبره مهيمنا عليه من قبل الهندوس. كان محبطا من الحزب لأنه في العشرينات كانت تسوده الفصائل المتفرقة من قبيل فصيلة شافي التي كانت مؤيّدة لبريطانيا والفصيلة الوسط التي كان يقودها جناح.

كان إقبال ناشطا في حركة الخلافة وكان من الآباء المؤسسين لجماعة الملة الإسلامية التي تأسّست في علي غار في أكتوبر 1920. وكان المهاتما غاندي قد اقترح عليه أن يصبح مساعد أول لمستشار جماعة الملّة الإسلامية لكنه رفض.

أصبح إقبال رئيس الرابطة الإسلامية في عام 1930. في نوفمبر 1926 وبتشجيع من الأصدقاء والمؤيدين تنازع إقبال في الانتخابات على مقعد في

الجمعية التشريعية في بنجاب عن المنطقة الإسلامية في لاهور وفاز على منافسه بهامش 3177 صوت. وقد أيّد الاقتراحات الدستورية التي قدّمها محمد علي جناح ليضمن حقوق المسلمين السياسية ونفوذهم في الائتلاف مع الكونغرس وعمل مع آغا خان والزعماء المسلمين الآخرين لإصلاح الانقسامات الفئوية في الفصائل كي ينجز الوحدة في الرابطة الإسلامية.

العلّامة محمد إقبال لاهوري
وتبلور فكرة
إنشاء دولة باكستان

في العشرينات من القرن العشرين انفصل إقبال ايدولوجيّا عن الزعماء المسلمين في الكونغرس بسبب خيبة أمله منهم لابتلائهم بالصدام الفئوي.

بالتزامن مع عدم قناعته بالزعماء الفئويين من أمثال شافي وفضل الرحمن بدأ إقبال باعتقاده بأن محمد علي جناح هو الزعيم السياسي الوحيد القادر على حفظ الوحدة في الرابطة الإسلامية وإنجاز أهداف الرابطة في تحقيق بروز قدرة المسلمين السياسية.

كان لإقبال أثر كبير في إقناع محمد علي جناح بأن يفارق منفاه الاختياري في لندن الذي فرضه على نفسه إذ بنى ارتباطه معه بالمراسلات الشخصيّة القويّة المتواصلة حافزا ومشجّعا له على الرجوع الى الهند وتولّي مسئولية زعامة الرابطة الإسلامية.

كان إقبال يعتقد اعتقادا جازما بأن محمد علي جناح هو الزعيم الوحيد الذي يستطيع جذب المسلمين الهنود الى الرابطة الإسلامية وحفظ وحدة الرابطة إزاء الكونغرس والسلطات البريطانية.

كان يخاطبه في مراسلاته قائلا: انا أعرف أنك مشغول جدا وآمل أنك لا تضيق ذرعا بمراسلاتي المتواصلة إليك لأنك اليوم المسلم الوحيد في الهند الذي يستحق أن يبحث عنه المجتمع المسلم للزعامة وطلب الإرشاد والنصح السديد في بطن الإعصار الذي يجتاح شمال غرب الهند وربما كل الهند.

كان إقبال يتبنّى في عام 1930 فكرة المناطق ذات الأغلبيّة المسلمة. وكان محمد علي جناح مستمرّا في محاورة الكونغرس طوال العقد الى أن احتضن هدف إنشاء باكستان رسميّا في عام 1940.

بعض المؤرّخين يفترضون أن محمد علي جناح كان يطمح الى أن يصل الى اتفاق مع الكونجرس ولم يرد تقسيم الهند. بيد أن بعض المؤرّخين يفترضون بأن مراسلات إقبال إليه هي المسئولة عن احتضانه فكرة إنشاء باكستان. لقد أوضح إقبال رؤيته لمحمد علي جناح عن دولة مسلمة مستقلّة في رسالته المؤرّخة 21 يونيو 1937 حيث قال:

إن اتحادا مستقلا للمناطق المسلمة الذي اقترحته هو الطريق الوحيد للوصول الى هند هادئة حيث كنا قد أنقذنا المسلمين من هيمنة غير المسلمين. لماذا لا نعتبر المسلمين في شمال غرب الهند وفي البنغال كشعوب يستحقون تقرير المصير مثل الأمم الأخرى داخل وخارج الهند!

إقبال كرئيس للرابطة الإسلامية في بنجاب انتقد أعمال محمد علي جناح السياسية بما فيها اتفاقه السياسي مع الزعيم البنجابي سكندر حيات خان لأنه

كان يعتبره ممثلا للطبقات الإقطاعية الذي كان لا يلتزم بالإسلام كفلسفة سياسية جوهرية.

مع ذلك كان إقبال يشجّع بالدوام الزعماء وجماهير المسلمين على تأييد محمد علي جناح والرابطة الإسلامية. قال إقبال عن المستقبل السياسي للمسلمين في الهند:

هناك مخرج واحد فقط: أن نقوّي جميعا جانب محمد علي جناح. على كل المسلمين أن يلتحقوا بالرابطة الإسلامية. إن المسألة الهندية محلولة ويجب أن نواجهها بجبهتنا المتحدة أمام الهندوس والإنكليز. وإلا فإنهم لن يقبلوا مطالبنا. إن الناس يقولون بأن مطالبنا هي صفعة من الطائفية وهذا محض دعاية. هذه المطالب تشكّل دفاعا عن وجودنا الوطني. إن الجبهة المتحدة حرية أن تشكل تحت زعامة الرابطة الإسلامية والتي سوف تنجح بزعامة محمد علي جناح فقط. لأن لا أحد يستطيع قيادة المسلمين غير محمد علي جناح.

جرت مناظرة شهيرة بين العلّامة محمد إقبال وحسين أحمد مدني حول مسألة القوميّة في أواخر الثلاثينات. كان موقف المدني على طول الخطّ هو إلحاحه على الشرعيّة الإسلامية لاعتناق الديموقراطية العلمانية كأحسن طريقة واقعية للحياة في واقع المستقبل لمسلمي الهند.

وكان إقبال يصرّ على مجتمع مسلم متجانس على أساس ديني. كلاهما لم يدافعا في يوم من الأيام عن دولة إسلامية مطلقة. كانت نقطة اختلافهما فقط في الخطوة الأولى. اعتقد المدني أن الخطوة الأولى كانت حرية الهند أولا

كقوميّة مركّبة في حين أن إقبال اعتقد بأن الخطوة الأولى هي إنشاء مجتمع إسلامي في المناطق ذات الأغلبية المسلمة بمعنى إنشاء الهند المسلمة داخل الهند الكبرى.

في عام 1930 انتخب إقبال كرئيس للرابطة الإسلامية في دورة الرابطة في الله آباد في المقاطعات المتحدة وكذلك في دورتها في لاهور في عام 1932. وفي خطابه الرئاسي في 29 ديسمبر 1930 ذكر إقبال الخطوط العريضة لرؤيته لدولة مستقلة في المقاطعات ذات الأغلبية المسلمة في شمال غرب الهند.

وقال إقبال في خطابه:

(أودّ أن أرى بنجاب وتخوم المقاطعة في شمال غرب الهند وكذلك السند وبلوجستان مندمجة في دولة واحدة. يتراءى لي أن تشكيل دولة مسلمة موحّدة في شمال غرب الهند تحت حكم الإمبراطورية البريطانية أو غيرها يشكّل القدر النهائي للمسلمين على الأقل في شمال غرب الهند.)

وفي خطابه أكّد إقبال بأن الإسلام – على النقيض من المسيحية – جاء بمفاهيم قانونية ذات أهمية مدنية وقيم دينية لا يمكن فصلها عن النظام الاجتماعي.

(لذا فإنه غير وارد للمسلمين أن تحلّ سياسة عامة على الخطوط الوطنية محلّ مبدأ وحدة مصالح إسلامية.)

كذلك أكّد إقبال ليس فقط الوحدة السياسية للمجتمعات المسلمة كضرورة بل أكّد أيضا أن صهر المجتمعات المسلمة في مجتمع أوسع غير قائم على المبادئ الإسلامية غير مرغوب فيه.

فكما أن إقبال نبذ العلمانية والقومية إلا أنه لم يوضح ما إذا كانت دولته الإسلامية المثالية هي سلطة دين. كما أنه انتقد المواقف الفكرية للعلماء التي حوّلت القانون الإسلامي عمليا الى حالة جمود.

دعوة العلّامة محمد إقبال لاهوري
الى الوحدة الإسلاميّة

إن شعر وفلسفة الرومي (مولانا مولوي) خلق أثرا بالغا في شخصيّة إقبال. ولتجذّره العميق في الدين منذ طفولة أظفاره شرع إقبال في التركيز الشديد على دراسة الإسلام ودراسة تاريخ الحضارة الإسلاميّة وتراثها ودراسة مستقبل الإسلام السياسي.

اتخذ إقبال مولانا الرومي كمرشد له يستضيئ بتعليماته. لذلك فهو يذكّر قرّاءه دائما بأمجاد الحضارة الإسلاميّة ويؤكّد على قيم ومثل الإسلام العليا وصدقها ونزاهتها كحافز على عظمة التحرّر السياسي والاجتماعي.

رفض إقبال التفرقة السياسية بين الشعوب المسلمة وكرّر دعوته الى وحدة الأمّة الإسلامية في كل العالم.

نشرت خطب إقبال الستة باللغة الإنجليزية في لاهور في عام 1930 وبعدها نشرت في مطبعة جامعة اوكسفورد في عام 1934 في كتاب اسمه (إعادة بناء الفكر الإسلامي).

كانت الخطب قد ألقيت في مدراس وحيدرآباد و (علي غار) وهي تبرز دور الإسلام كدين وكفلسفة سياسية وقانونية في العصر الحديث. في هذه الخطب ينبذ إقبال بقوة السلوك والمواقف السياسية للسياسيين المسلمين الذين يعتبرهم طالبي قدرة ومنحرفي أخلاق وفاقدي سمعة لدى الجماهير المسلمين.

أبرز إقبال مخاوفه من العلمانية وأنها تضعف الأسس الروحية للإسلام والمجتمع المسلم وأن الأغلبية الهندوسية سوف يزاحمون التراث الإسلامي والنفوذ الثقافي والسياسي للمسلمين.

في رحلاته الى مصر وأفغانستان وايران وتركيا شجّع إقبال التعاون والوحدة بين المسلمين ودعا الى التخلّص من الاختلافات القومية.

وفي حواره مع الدكتور أمبدكار تكهّن بترتيبات سياسية مختلفة لضمان قوة المسلمين السياسية.

أبرز إقبال رغبته في أن يرى الأقاليم الهندية كوحدات مستقلّة تحت الحكم المباشر للحكومة البريطانية وفي غياب حكومة مركزية هندية. وكان لديه تصوّر واضح عن مناطق مستقلّة في الهند. وكان يخشى على المسلمين من أي اتحاد هندي مركزي ومعاناتهم الوجودية ككيان مسلم منفصل.

نشاطات العلّامة
محمد إقبال لاهوري
في أواخر أيّامه

إن الأيام الأخيرة من عمر إقبال كانت قد تركّزت على النشاط السياسي. سافر إقبال عبر أوروبا وآسيا الغربية حيث كان يحاول جمع الموارد المالية والسياسية للرابطة.

كرّر إقبال هناك أفكاره التي ضمّنها خطابه في عام 1932 وخطابه في مؤتمر الطاولة المستديرة الثالثة.

عارض إقبال حزب الكونجرس والاقتراحات لنقل السلطة من دون تضمين حكم ذاتيّ معيّن للمقاطعات المسلمة في الهند.

كان إقبال يتصرّف كرئيس للرابطة الإسلامية في بنجاب وكان يلقي خطابات ويكتب مقالات وينشرها في خضمّ سعيه لجمع المسلمين الهنود في حضن كيان سياسي واحد.

كان إقبال ينتقد على الدوام الطبقات الإقطاعية في بنجاب وكذلك السياسيين المسلمين الذين كانوا يعارضون الرابطة الإسلامية. ظهرت وجوه مختلفة لإحباطاته من زعامة الكونجرس والتي كانت محوريّة وبالغة الأهمية لرؤيته عن نظرية الشعبين والدولتين.

كان إقبال الراعي الأول لمجلّة (طلوع الإسلام) مجلة المسلمين الهنود التاريخية والسياسية والدينية والثقافية. كان يرغب لمدّة طويلة في مجلّة لنشر أفكاره وبثّ أهداف الرابطة الإسلامية لجميع المسلمين الهنود.

في عام 1935 أعطى تعليماته للسيد نظير نيازي لتحرير مجلّة باسم (طلوع الإسلام) المسمّاة باسم شعره طلوع الإسلام. أهدى نيازي الإصدار الأول للمجلّة الى إقبال. لعبت المجلّة دورا مهمّا في (حركة باكستان). استمرّت المجلة تحت إدارة غلام أحمد برويز والذي كان قد ساهم في مقالات كثيرة في إصدارات المجلة الأولى.

مرض العلّامة
محمد إقبال لاهوري
واعتزاله المحاماة

اجتمع المرض على إقبال في السنوات الأخيرة من عمره. فقد ضعف بصره لدرجة أنه لم يستطع التعرّف على أصدقائه بسهولة. وكان يعاني من آلام وأزمات شديدة في الحلق مما أدّى إلى التهاب حلقه وأدّى بالتالي إلى خفوت صوته مما اضطرّه إلى اعتزاله مهنة المحاماة.

وفكّر في أن يقصد فيينا طلبًا للعلاج إلا أن حالته المادية لم تسمح بذلك. وتدخل صديقه رأس مسعود حيث اقترح على يهوبال الإسلامية أن تمنحه راتبًا شهريًا من أجل أطفاله الذين ما زالوا صغارًا. وحدث ذلك بالفعل واستمرّ الراتب حتى بعد وفاة إقبال.

كان من أولاده:

*ابنه آقتاب إقبال المحامي ورزق به من زواجه الأول

*وابنه أجاويد القاضي بمحكمة لاهور العليا

*وابنته منيرة باتو وتزوّجت في باكستان

وهما من زوجته الثالثة حيث تزوّج إقبال ثلاث زوجات ماتت إحداهن هي وابنتها بعد الولادة.

في أثناء مرضه هذا واعتزاله المحاماة ماتت زوجته الثالثة في شهر مايو 1935 ثم مات صديقه رأس مسعود ولم يتوقف عن ممارسة نشاطه السياسي وعن التأليف وكتابة الشعر.

في عام 1933 بعد عودته من اسبانيا وأفغانستان عانى إقبال من مرض التهاب حلق غامض.

أمضى سنواته الأخيرة في مساعدة (جودري نياز علي خان) لتأسيس معهد (دار الإسلام) في ممتلكات جمال بور قرب باتانكوت حيث كانت الخطط للإعانات المالية لدراسة الإسلام التقليدية وعلوم الاجتماع المعاصرة. وكان أيضا يدافع عن إنشاء دولة إسلامية مستقلّة.

في عام 1934 اعتزل المحاماة ومنح راتبا تقاعديا.

في السنوات الأخيرة من عمره كان إقبال يزور دائما قبر الصوفي المعروف علي حاج ويري في لاهور لاستجلاب الهداية الروحية.

بعد معاناة طويلة من مرضه لعدّة شهور توفّي إقبال في لاهور في 21 ابريل من عام 1938.

يقع ضريحه في (حضوري باغ) حيث تقع حديقة غنّاء بين مدخل مسجد باد شاهي وقلعة لاهور. وهناك حرس رسمي على ضريحه من طرف دولة باكستان.

وفاة العلّامة

محمد إقبال لاهوري

توفّي محمد إقبال في 21 ابريل 1938 في تمام الساعة الخامسة صباحًا فتأثرت بلاده بذلك فعطّلت المصالح الحكومية وأغلقت المتاجر أبوابها واندفع الناس إلى بيته ونعاه قادة الهند وأدباءها من المسلمين والهندوس على السواء ويقول عنه طاغور شاعر الهند:

(لقد خلفت وفاة إقبال في أدبنا فراغًا أشبه بالجرح المثخن الذي لا يندمل إلا بعد أمد طويل. إن موت شاعر عالمي كإقبال مصيبة تفوق احتمال الهند التي لم ترتفع مكانتها في العالم بعد).

آثار العلاّمة

محمد إقبال لاهوري

ومؤلّفاته

ترك إقبال ثروة ضخمة من علومه. فمن آثاره عشرون كتابًا في مجال الاقتصاد والسياسة والتربية والفلسفة والفكر. وترك أيًضا بعض الكتابات المتفرّقة وبعض الرسائل التي كان يبعث بها إلى أصدقائه أو أمراء الدول. ذلك إلى جانب روائعه من الشعر والتي كنّي بسببها (شاعر الإسلام).

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: «ومن دواعي العجب أن كلّ هذا النجاح حصل لهذا النابغة وهو لم يتجاوز اثنين وثلاثين عامًا من عمره». ومن مؤلفاته:

- **تجديد التفكير الديني في الإسلام (ترجمه للعربية: عباس محمود العقاد)**
- تجديد الفكر الديني في الإسلام (ترجمة ثانية الى العربية: يوسف عدس)
- رسالة المشرق (بيام مشرق)
- زبور العجم (زبور عجم)
- والآن ماذا ينبغي ان نفعل يا أمم الشرق
- الفتوحات الحجازية (أرمغان حجاز)
- صلصة الجرس (بانك درا)
- اسرار معرفة الذات (أسرار خودي)

- رموز بيخودي (أسرار فناء الذات)
- مسافر
- جناح جبرئيل (بال جبريل)
- ضرب كليم (الكليم موسى عليه السلام)

أشعار العلّامة محمد إقبال لاهوري باللغة الفارسيّة

إن أعمال إقبال الشعرية كتبت بالدرجة الأولى باللغة الفارسية أكثر منها باللغة الأرديّة. **من مجموع اثني عشر ألف بيت شعر لمحمد إقبال حوالي سبعة آلاف منها أنشدت باللغة الفارسية.**

في عام 1915 نشر إقبال المجموعة الأولى من أشعاره المسمّاة (أسرار النفس) باللغة الفارسيّة. إن هذه الأشعار تؤكّد مشهد الروح والنفس من وجهة النظر الدينيّة.

إن العديد من النقّاد اعتبروا أروع أشعاره (أسرار النفس) بأنها توضّح فلسفته في النفس. إن إقبال استعمل مصطلح النفس كمرادف لكلمة الروح الموجودة في القرآن المجيد كشرارة إلهيّة موجودة في أيّ إنسان والتي قال إقبال إنها موجودة في نبيّ الله آدم التي أمر الله عز وجل جميع ملائكته للسجود لآدم من أجلها.

إن إقبال يدين التدمير الذاتي. إن هدف الحياة في نظر إقبال هو تحقيق الذات والمعرفة الذاتيّة. هو يرسم الجدول البياني للمراحل التي تمرّ بها النفس قبل

أن تصل في نهاية المطاف الى نقطة الكمال حيث يتمكّن السالك من أن يصبح خليفة لله.

في كتابه (رموز الفناء) بالفارسيّة أيضا يحاول إقبال أن يؤكّد أن الطريقة الإسلامية للحياة هي أحسن مدوّنة لقواعد السلوك لقابليّة الحياة والنموّ. إن إقبال يؤكّد أن على الفرد أن يحافظ على صفاته المميّزة سليمة. وعند تحقيق ذلك يجب عليه أن يضحّي بطموحاته من أجل احتياجات الأمّة. إن الفرد لا يستطيع أن يحقق ذاته خارج المجتمع.

عند نشر كتابه (رموز الفناء) بالفارسيّة في عام 1917 أصبح المجتمع المثالي والمثل العليا في الإسلام والعلاقات بين الفرد والمجتمع المواضيع الرئيسية لهذه المجموعة من أشعاره.

رغم تأييده للإسلام إلا أن إقبال يعترف أيضا بالجوانب الإيجابية من الأديان الأخرى. إن كتابه (رموز الفناء) يعتبر متمّما لكتابه (أسرار النفس) في تأكيده على (مشهد النفس). توضع المجموعتان غالبا في مجلّد واحد تحت مسمّى (رموز الأسرار) والتي يخاطب بها إقبال المجتمع الإسلامي.

نشر كتاب إقبال (رسالة الشرق) بالفارسيّة في عام 1924 والذي يقارن عادة بكتاب الشاعر الألماني غوته (ديوان الغرب). يتحسّر غوته على الغرب لانغماسه الفائق في الماديّات ويتوقّع من الشرق أن يصدر رسالة الأمل لإنعاش القيم الروحيّة.

إن إقبال يصوغ أسلوبه بحيث يذكّر الغرب بأهمية الأخلاق والدين والحضارة وذلك بالتأكيد على الحاجة الى صقل الأحاسيس والحماسة والحيويّة. ويؤكّد إقبال أيضا أن الفرد لا يستطيع أن يطمح الى أبعاد عالية إلا إذا تعلّق بالقيم الروحيّة.

في زيارته الأولى الى أفغانستان قدّم إقبال كتابه (رسالة المشرق) الى الملك أمان الله خان. وفي تقديمه هذا أظهر إقبال إعجابه بانتفاضة أفغانستان ضد الإمبراطوريّة البريطانية. في عام 1933 دعي رسميّا الى أفغانستان ليحضر اجتماعات تأسيس جامعة كابول.

نشر إقبال في عام 1927 كتابه (زبور العجم) بالفارسيّة والذي تضمّن أشعار حديقة الأسرار الجديدة وكتابه (كتاب العبوديّة). في كتابه (زبور العجم) يطرح إقبال أسئلة ثم يجيب عليها بعون البصيرة القديمة والحديثة. وفي كتابه (كتاب العبوديّة) ندّد إقبال بالعبودية وحاول أن يوضح الروح خلف الفنون الجميلة للمجتمعات المستعبدة.

وكما في كتبه الأخرى أصرّ إقبال في هذه الكتب على أن يتذكّر الماضي وينعم بالحاضر ويستعدّ للمستقبل مؤكّدا المحبّة والحماسة والحيويّة لتحقيق الحياة المثلى.

في عام 1932 نشر إقبال كتابه (كتاب جاويد) بالفارسيّة والذي سمّاه باسم ابنه وكان يخاطب فيه ابنه وكل هذا بارز في الكتاب. وكان يقتدي في هذا الكتاب بابن العربي (العارف الكبير الشهير) ودانته (العالم الإيطالي) في كتابه (الكوميديا الإلهية) بأوصاف عرفانيّة مبالغ فيها عبر الزمان.

يصوّر إقبال نفسه في هذا الكتاب (نهر الحياة) مقتديا بمولانا جلال الدين الرومي (مولانا مولوي العارف الكبير الشهير)[4] – والذي اتخذه إقبال أستاذا – عبر رحلته في السموات والأبعاد المختلفة وكان له الشرف في أن يقترب من الألوهيّة عبر معايشة إشراقات إلهيّة.

في كلامه عن حقبة تاريخيّة يندّد إقبال بالمسلمين الذين لعبوا دورا مهمّا في هزيمة وموت نواب سراج الدولة (من البنغال) وتيبو سلطان (من ميسور) حيث خانوهما لمصلحة المستعمرين البريطانيين وبذلك سلّموا بلادهم لأغلال وقيود العبودية.

وفي نهاية المطاف عبر مخاطبته ابنه جاويد خاطب الشباب في العالم وأرشد الجيل الجديد.

---

4 مولانا مولوي هو عارف كبير صاحب مثنوي الشهير مؤلّف من 26000 بيت شعر عرفاني. ولدور هذا العارف في حياة العلّامة محمد إقبال لاهوري فقد فصّلنا عن حياته وأعماله في فصل قادم تحت عنوان (الأب الروحي للعلّامة محمد إقبال لاهوري)

في كتابه بالفارسيّة (كيف يجب على أمم الشرق أن يسلكوا) هناك شعر يسمّى (مسافر) حيث يشير إقبال الى مولانا مولوي كشخصيّة يجسّد أسرار القوانين الإسلامية والمفاهيم الصوفيّة.

يرثي إقبال تفرّق المسلمين الهنود والمسلمين عموما. يصف إقبال في شعره (مسافر) أحد أسفاره الى أفغانستان حيث يقدّم مشورة لأقوام (بشتون) بأن يتعلّموا سرّ الإسلام ويبنوا الذات في داخل ذواتهم.

إن حبّه للغة الفارسية واضحة في أشعاره حيث يقول في أحد أشعاره:

رغم أن اللغة الأرديّة حلوة إلا أن اللغة الداريّة (اللغة الفارسية في أفغانستان التي تختلف قليلا عن اللغة الفارسية في ايران) هي أحلى.

فضّل إقبال طوال حياته أن يكتب بالفارسية لأنه كان يعتقد أن اللغة الفارسية تسمح له أن يعبّر عن المفاهيم الفلسفية بحرية أكثر وأيضا تكسبه جمهورا أوسع.

أشعار العلّامة

محمد إقبال لاهوري

باللغة الأرديّة

نشر إقبال مجموعته الأولى من أشعاره باللغة الأردية في عام 1924 في كتاب سمّاه (صوت مسيرة الجرس). كتبت هذه الأشعار على ثلاثة مراحل متميّزة من حياته:

*الأشعار التي كتبت حتى عام 1905 – السنة التي غادر فيها الى إنكلترا – وهي تعكس الوطنية وتشبيه الطبيعة.

*والأشعار التي كتبت من عام 1905 الى 1908 حينما كان إقبال يدرس في أوروبا واتّصف بطبيعة الأوروبيين ويؤكّد أنه فقد هناك القيم الروحية والدينية.

وهذه المراحل من عمره ألهمت إقبال أن يكتب أشعاره من منطلق التراث الإسلامي التاريخي والثقافي وما يمتّ الى مجتمعه المسلم ولكن من منظور عالمي.

في هذه الأشعار يحثّ إقبال الأمّة جمعاء على أن يعرّفوا وجودهم الشخصي والاجتماعي والسياسي بقيم وتعاليم إسلامية.

كانت أعمال إقبال في معظم حياته المهنية باللغة الفارسيّة إلا أنه بعد عام 1930 كانت معظم كتاباته باللغة الأردية حيث كان يوجّه أعماله على الخصوص الى الجماهير المسلمة في الهند وبتأكيد أقوى على الإسلام وعلى الصحوة السياسية والروحية الإسلامية.

نشر إقبال في عام 1935 كتابه (أجنحة جبرئيل) باللغة الأردية وتعتبر هذه الأشعار من قبل معظم المنتقدين كأجمل أشعاره باللغة الأردية. وكانت زيارته الى اسبانيا مصدر إلهامه حيث زار هناك آثار وتراث مملكة المسلمين. وكانت تتضمّن الغزليات والرباعيات وقصائد قصيرة تطفح بالعاطفة الدينية القوية.

في عام 1936 – قبل وفاته بسنتين – نشر كتابه (عصا موسى) باللغة الأردية والتي تضمّنت أشعارا فلسفيّة وكانت بمثابة بيان رسميّ سياسي. صدر هذا الكتاب تحت عنوان فرعيّ باسم (إعلان الحرب على الزمان الحاضر).

ناقش إقبال أن المشاكل العصريّة ظهرت بسبب الماديّة والإلحاد وعدم الإيمان بالله والظلم وعدم العدالة التي تمتّ الى الحضارة العصريّة بصلة والتي تتغذى على القهر والإخضاع واستغلال الأمم الضعيفة وخصوصا المسلمين الهنود.

عمله الأخير باللغة الأردية كان كتابه (هبة الحجاز) والذي نشر بعد وفاته في عام 1938. القسم الأول من هذا الكتاب يحتوي على الرباعيات باللغة الفارسية والقسم الثاني يحتوي على بعض الأشعار والقصائد القصيرة باللغة الأردية. الرباعيّات الفارسية تعطي انطباعا بأن الشاعر يسافر عبر الحجاز في مخيّلته. إن عمق الأفكار وشدّة العاطفة هي السمات البارزة في هذه الأشعار القصيرة.

إن رؤية إقبال الصوفيّة تظهر جليّا في إحدى غزليّاته الأرديّة التي كتبت في لندن خلال أيام دراسته. فيما يلي بعض أبيات هذه الغزليّات:

ترجمتي الحرفيّة لغزليات إقبال

وأخيرا أعلن لسان حجاز الصامت

الى الأذن المتحمّس هذه الأخبار

بأن العهد والميثاق الذي

أعطي لساكني الصحراء

سيتجدّد بقوّة

إن الأسد الذي ظهر من الصحراء

والذي أسقط الإمبراطورية الرومانية

على وشك النهوض مرّة أخرى

من السبات العميق

كما أخبرتني الملائكة

يجب أن تعرفوا ذلك يا ساكني الغرب

عالم الله ليس حكرا عليكم

الذهب المصفّى حسب أوهامكم

وشيكا يفقد قيمته الافتراضية

التي أنتم عيّنتموها

حضارتكم سوف تنتحر بخناجرها الذاتيّة

إن البيت المبنيّ على قشرة خشبيّة هشة

لا يدوم طويلا

وأنا حوّلت هذه الأقوال الخالدة وهذه الأبيات من الشعر الى مثنويات:

لسان الحجاز تكلّم وأعلن / إليّ ببشرى وكبّر وأذّن

بأن العهد الذي على الصحراء نزل / يعود علينا وكالأمطار يهطل

بأن الأسد الذي من الصحراء بان / والذي أسقط الإمبراطورية الرومان

وشيكا سينهض ويبعث للحياة / من طول نوم وعمق السبات

ملاكي أخبرتني سرّا وعن قرب / فعودوا الى رشدكم يا ساكني الغرب

العالم الواسع ليس حكرا عليكم / والذهب المصفّى حسب أوهامكم

وشيكا يفقد القيمة الافتراضية / عيّنتها ثقافتكم الواهية

حضارتكم وشيكا بأيديكم تنتحر / بما في جوفها من خناجر

بنيتم قصورا على قشرة هشة / وشيكا ستنهار وتختفي القشة[5]

---

[5] عجيب جدا أمر هذا العلّامة سطّر هذه الغزليّات في عام 1905 وبعد مائة وعشرين سنة يهزم هذا اليمن الصغير جدا الإمبراطوريتين العظيمتين أمريكا وإنجلترا **!!!** واللتين بقيتا عاجزتين أمام هذا اليمن الذي قال عنه الرسول ص قبل 1400 سنة: **الإيمان يمان.**

ونرى بأمّ أعيننا غزّة الصغيرة جدا تهزم إسرائيل (القوة الثالثة في العالم) وتفضحها فضيحة كبرى ومن ورائها الإمبراطورية الأمريكية العظمى والإمبراطوريات العظمي في أوروبا. وهذه المنطقة الصغيرة جدا (فلسطين ومن جملتها غزة التي حول المسجد الأقصى) يقول الله تعالى عنها: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ (سورة الإسراء الآية الأولى).
يقول الله تعالى بأنه عز وجل بارك حول المسجد الأقصى ليري رسول الله ص من آياته. وفي البركة من المعاني العظام ما لا تتصوّره **!!!**

أشعار العلّامة
محمد إقبال لاهوري
باللغة الإنجليزية

كتب إقبال كتابين باللغة الإنجليزية:

*تطوّر الميتافيزيك (العلوم الغيبيّة) في ايران – نشر في عام 1908

*إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام – نشر في عام 1930

بالإضافة الى ذلك كتب رسائل عدّة باللغة الإنجليزية. وكتب أيضا كتابا في الاقتصاد والذي يوجد نادرا في المكاتب.

في هذه الكتب باح إقبال بأفكاره عن الايديولوجية الإيرانية والصوفية الإسلامية. وعلى الخصوص باح بعقيدته بأن الصوفية الإسلامية تفعّل الروح الباحثة الى مستويات عالية من الفهم والإدراك.

وبحث أيضا مفهوم (الله) وأمور الفلسفة ومعنى الصلاة والروح البشرية والثقافة الإسلامية وكذلك المشاكل السياسية والاجتماعية والدينية.

دعي إقبال الى كامبريج كي يشارك في المؤتمر في عام 1931 حيث باح بأفكاره الى الطلاب والمشاركين الآخرين وخصوصا عن موضوع فصل الكنيسة عن الدولة وخاطبهم قائلا:

أودّ أن أقدّم بعض النصائح الى الشباب الذين يدرسون في الكامبريج في الوقت الحاضر. أنصحكم أن تحموا أنفسكم من الإلحاد والماديّة. إن الخطأ الفادح الكبير الذي اقترفته أوروبا هو فصل الكنيسة عن الدولة. هذا الأمر حرم ثقافتهم من روح الأخلاق والمعنويّات وتسبّب في انحرافهم الى الالحاد والماديات. قبل 25 سنة لاحظت العيوب في هذه الحضارة وبحت ببعض النبوءات التي أطلقتها بلساني رغم أني لم أفهمها جيدا. حدث هذا في عام 1907 وبعد ست أو سبع سنوات تحققت نبوءاتي حرفا بحرف. إن حرب أوروبا في عام 1914 كان نتيجة الأخطاء الفادحة التي ذكرتها والتي ارتكبتها الشعوب الأوربية في فصل الكنيسة عن الدولة.[6]

6

هذا العلّامة المعجزة كان كأحد الطلّاب الذين توافدوا على أوروبا للدراسة لكنه كان بينهم كالذهب المكنون في التراب والطين. نظر ببصيرة الى الحضارة الغربية وعرف عيوبها

ومخاطر السقوط فيها. ومن بيئتهم عرّفهم بالمستنقعات التي غرقت أقدامهم فيها وغاصت ومن بحرهم عرّفهم بالعواصف التي بهم هاجت وماجت. كيف تحققت نبوءاته في خلال ستّ سنوات وتورّطوا في حرب عشواء ضارية أكلت الأخضر واليابس وأزالت الملايين من فوق الأرض لا لشيء إلا لغبائهم كما هم اليوم لا يتعلّمون شيئا من دروس وعبر بل بالعكس يزدادون قسوة وضراوة وكأنهم وحوش ضارية في الغابات يأكل القويّ فيها الضعيف ومستعدّون الى يومنا هذا للإبادة الجماعية كما فعلوا في الماضي بالهنود الحمر وسكّان أفريقيا وناميبيا وسائر الأمم لا يخافون الله بل إن جلّ فكرهم قد تورّط في الإجرام لنيل بعض الذهب والجواهر ولدسّ المال الحرام في جيوبهم التي لا تشفى من ظمأ المال ونهب الشعوب. إن قيمتهم في الحياة هو المال والمال والأنانية البحتة وهم حاضرون أن يقتّلوا وينهبوا ويستعبدوا الشعوب الأخرى لمصالحهم الشخصية بعيدين عن قيم الروح والمثل العليا والأخلاق السامية في حين أن قيمة الدين الإسلامي هو الإيمان بالله ورسله وملائكته وما ذكرته في كتابي: (هكذا تكلّم عيسى عليه السلام) فصل (شوق الله في الأمم):

أن يستضيئ الشخص بهداية من قلبه ولا يحب لغيره ما لا يحب لنفسه ويعطي جاره ما يحب أن يأخذ منه مثل هذا الرجل لا تخذله رحمة الله ولا يخرج عن كنف الرحمة الربانية. ولهذا سوف يعطيه الله ناموسه عند موته بفضل منه ورحمة إن لم يكن أسرع من ذلك.

أشعار العلّامة
محمد إقبال لاهوري
باللغة البنجابيّة

كتب إقبال بعض الأشعار باللغة البنجابية أيضا في عام 1929 بمناسبة عيد ميلاد ابنه جاويد.

عرضت مجموعة من أشعاره باللغة البنجابية في منزل إقبال في سيالكوت.

تأثر إقبال كثيرا بالصوفيين البنجابيين. أنشد صديقه مرّة شعرا للشاعر البنجابي (بوله شاه) وقد تأثر إقبال عاطفيّا بشدة بحيث سالت دموعه على وجنتيه.

مدرسة العلّامة

محمد إقبال لاهوري

العربية

تأثر بمدرسة العلامة محمد إقبال لاهوري في الأدب العربي عدد من الأدباء العرب الذين مزجوا بين الإسلامية والفلسفة وهم:

*مصطفى المنفلوطي

*أحمد أمين

*مصطفى صادق الرافعي

*عمر بهاء الدين الأميري

*واخرون

إقبال له جمهور في الوطن العربي:

*في مصر غنّت أم كلثوم من أشعاره. وقد غنّت له أم كلثوم إحدى قصائده وهي «حديث الروح».

* وجاء في ديوانه (صلصلة الجرس) قصيدة ترجمها الشاعر المصري الصاوي شعلان تحت عنوان (شكوى وجواب شكوى). وتبدأ الشكوى بكلمة (حديث الروح) ولذلك سمّيت أغنية أمّ كلثوم لأبيات مختارة من القصيدتين باسم حديث الروح.

*وقصيدة (شكوى وجواب شكوى) يضعها بعض الباحثين بين روائع الأدب العالمي.

*في مصر هناك شخصيّات أدبية ذات نفوذ والذين تأثروا من أدب إقبال من أمثال فاروق شوشا.

*في السعودية هناك شخصيات ذات نفوذ والذين تأثروا من أدب إقبال من أمثال عبد الله بن فيصل آل سعود والذي هو شاعر وعضو في العائلة المالكة السعودية.

مقام العلّامة
محمد إقبال لاهوري
في تركيا

في تركيا أثّر إقبال مباشرة على محمد عاكف ارسوي والذي يعتبر الشاعر الوطني هناك لأنه ألّف النشيد الوطني التركي.

في عام 2016 قدّم وزير الثقافة والسياحة التركي (نبي آفسي) جائزة (دوست) الى وليد إقبال حفيد العلّامة محمد إقبال لاهوري لتكريم خدمات جدّه إقبال للإسلام. أقيم الاحتفال بهذه المناسبة في قونية (في تركيا) حيث دفن مولانا جلال الدين الرومي.

مقام العلّامة
محمد إقبال لاهوري
في الدول الغربية

أطرى العالم الغربي على أفكار إقبال بالنسبة للغرب. مثلا في الولايات المتحدة الأمريكية أطرى زميل المحكمة العليا هناك ويليم دوجلاس عقائد إقبال بأنها (مناشدة عالمية).

في الاتحاد السوفييتي كاتب سيرة (أنيكوي) كتب عن إقبال:

إقبال رجل عظيم وإن مواقفه الفعّالة إزاء الحياة والأهداف الإنسانية السامية تظهر جليّا في:

*إدانته المتحمّسة للإرادة الضعيفة والبلادة.

*واحتجاجه الغاضب على عدم المساواة والظلم والاضطهاد والتمييز في كل أشكاله من قبيل التمييز الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والقومي والعنصري والديني وغيره.

*ومواعظه التفاؤلية.

هو عظيم لتأكيده على المثل النبيلة ومبادئ الإنسانية والديموقراطية والسلم والصداقة بين الناس.

وتكلّم عنه أيضا ويلفرد كانتويل سميث قائلا:

إن إقبال ضد ظاهرة الثقافة الغربية بسبب مواقفه ضد الرأسمالية لأن الرأسمالية تتبنّى ظاهرة الثقافة.

يعترض فريلاند أبوت على أفكار إقبال ضد الغرب قائلا:

إن أفكاره مبنيّة على دور الغرب في الاستعمار والامبريالية وإنه لم ينغمس بشكل كافي في الثقافة الغربية حتى يحيط بالفوائد المتعدّدة للديموقراطيات العصرية والعلوم الاقتصادية وممارساتها.

إن منتقدي وجهة نظر أبوت يقولون إن إقبال نشأ على الطريقة الأوروبية وتعلّم هناك وأمضى وقتا كافيا لإدراك المفاهيم العامة للحضارة الغربية.

إقبال هبة الشرق
التي توقّعها
الشاعر الألماني غوته

عرف إقبال ب (شاعر الشرق) من قبل الأكاديميين والمؤسّسات ووسائل التواصل الاجتماعي.

يقول الدكتور معصوم ياسين زاي نائب مستشار جامعة القائد الأعظم في ندوة خاطب فيها تجمّع المفكرين والمربّين البارزين: إن إقبال ليس شاعر الشرق فحسب بل هو شاعر عالمي أيضا.

إن العلامة محمد إقبال لاهوري لا يخصّ شريحة صغيرة من المجتمع في هذا العالم لكنه يخصّ الإنسانية جمعاء.

لم يكتف إقبال بإهداء ديوانه الشرقي الى غوته الذي هو أيقونة الثقافة في الغرب بل إن كتابه (رسالة المشرق) شكّل جوابا وفي الوقت نفسه تصحيحا للديوان الغربي لغوته لأنه صاغ أسلوبه كممثل للشرق بشكل حاول معه أن يخاطب غوته بالندّية مع ممثل الغرب.

أعمال إقبال الثورية كشاعر أثرت في المسلمين في شبه قارة الهند لأنه خاطبهم كشعب عانى من الاضطهاد الطويل من قبل المستعمر الغربي النامي المتوسّع يوما بعد يوم. ولهذا هو معروف هناك بشاعر المشرق.

وفي نهاية المطاف نذكر شيميل يتكلّم عن كتاب إقبال (أجنحة جبرئيل) ويمدح طريقة إقبال النادرة في نسج النسيج الفخم من الفكر الشرقي والفكر الغربي ويصف هذه الطريقة بالنشاط الخلّاق الذي يهب إقبال قامة (الشاعر العالمي) والمفكّر العالمي الذي كان هدفه الرئيسي أن يكتشف الحوارات البديلة المخفّفة لبناء الجسر بين الشرق والغرب.

إقبال يعرف في أوساط العالم الأردي ك (شاعر الشرق) وأيضا ك (مفكر باكستان) و (حكيم الأمّة). ويعرف لدى حكومة باكستان رسميّا ك (الشاعر الوطني).

شعر العلّامة
محمد إقبال لاهوري
في فاطمة الزهراء عليها السلام

محمد إقبال لاهوري هو شاعر باكستاني معروف ومن أهل السنّة يقول في عظمة مقام ومنزلة فاطمة الزهراء بنت رسول الله سلام الله عليهما:

(على النساء المسلمات أن يتخذن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام أسوة وقدوة في حياتهن. بمعنى أن يلتزمن بالعفاف والحجاب وأن يصنّ أنفسهنّ من تبرّج الغربيّات وحرّيّتهن الرخيصة واستهتارهنّ بالوقار والأخلاق والقيم السامية. إن فاطمة الزهراء هي:

*بنت مثلى بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

*وزوجة مثلى زوجة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

*وأمّ مثلى أمّ الإمامين الحسن والحسين والعقيلة زينب الكبرى بطلة كربلاء

هي القمّة في الإنسانية والأخلاق النبويّة كبنت وزوجة وأم). انتهت مقالة العلامة محمد إقبال لاهوري.

إن إقبال لاهوري له أشعار جميلة جدا في لغات عدّة منها: بالأردو والفارسية والعربية. وهذه القصيدة قالها في الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء بنت رسول الله سلام الله عليهما بالفارسيّة وترجمها الى العربيّة أستاذان من أساتذة الأدب العربي هما: محمد حسن الأعظمي والصاوي علي شعلان:

نسب المسيح بنى لمريم سيرة / بقيت علـى طول المدى ذكراها

والمجـد يشـرق مـن ثـلاث مطالـع / فـى مهـد فاطـمة فما أعلاها

هى بنت مَن هى زوج مَن هى أمّ مَن / مَن ذا يدانى فى الفخـار أباهـا

هى ومضة من نور عين المصطفى / هادي الشعوب إذا تروم هداها

هو رحمة للعالمين وكعبة ال / آمال فى الدنيا و فى أخراها

من أيقظ الفطر النيام بروحه / وكأنه بعد البلى أحياها

وأعاد تاريخ الحياة جديدة / مثل العرائس فى جديد حلاها

ولزوج فاطمة بسورة هل أتى / تاج يفوق الشمس عند ضحاها

أسد بحصن الله يرمى المشكلا / ت بصيقل يمحو سطور دجاها

إيوانه كوخ وكثر تراثه / سيف غدا بيمينه تياها

فى روض فاطمة نما غصنان لم / ينجيهما فى النيّرات سواها

فأمير قافلة الجهاد وقطب دا / ئرة الوئام و الاتحاد ابناها

حسن الذى صان الجماعة بعدما /أمسى تفرّقها يحلّ عراها

ترك الخلافة ثم أصبح فى الديا / ر إمام ألفتها وحسن علاها

و حسين فى الابرار و الاحرار ما / أزكى شمائله و ما أنداها

فتعلموا دين اليقين من الحسين / إذا الحوادث أظمأت بلظاها

وتعلموا حرّية الإيمان من / صبر الحسين وقد أجاب نداها

الأمهات يلدن للشمس الضياء / وللجواهر حسنها وصفاها

ما سيرة الأبناء إلا الأمهات / فهم إذا بلغوا الرقيّ صداها

هى أسوة للأمهات وقدوة / يترسّم القمر المنير خطاها

لما شكا المحتاج خلف رحابها / رقّت لتلك النفس فى شكواها

جادت لتنقذه برهن خمارها / يا سحب أين نداك من جدواها

نور تهاب النار قدر جلاله / و منى الكواكب أن تنال ضياها

جعلت من الصبر الجميل غذائها / ورأت رضا الزوج الكريم رضاها

فمُها يرتّل آي ربك بينما / يدها تدير على الشعير رحاها

بلّت وسادتها لآلىء دمعها / من طول خشيتها ومن تقواها

جبريل نحو العرش يرفع دمعها / كالطل يروي فى الجنان رباها

لولا وقوفى عند أمر المصطفى / وحدود شرعته و نحن فداها

لمضيت للتطواف حول ضريحها / وغمرت بالقبلات طيب ثراها

العلّامة

محمد إقبال لاهوري

ملهم الثورات في ايران

يعرف إقبال في ايران ك (إقبال لاهوري). إن كتب إقبال وعلى الأخص (أسرار النفس) و (أجنحة جبرئيل) محبوبة في ايران. وفي الوقت نفسه فإن علماء كثيرين في ايران قد أقرّوا بأهمّية أشعار إقبال في إلهام الثورة الايرانية التي حدثت في عام 1979 واستمرارها.

في أثناء المراحل المبكرة للثورة كان شائعا في ايران أن تجد جمهورا من الناس يتجمّعون في حديقة أو أيّ ركن ما للاستماع الى شخص يلقي أشعارا باللغة الفارسية لإقبال. ولهذا فإن أشعار إقبال أو على الأقل بعض أشعاره مألوفة بين الناس في مختلف الأعمار في الوقت الحاضر وعلى الخصوص كتابه (زبور العجم).

يقول آية الله علي الخامنة اي:

(عندنا في تاريخ أدبنا الفارسي شعراء كثر من الأمم التي لا تتكلم الفارسية ولكني لا أرى شعرا يتصف بصفات أشعار إقبال الفارسيّة. لم يكن إقبال يعرف التعابير أو المصطلحات الفارسية لأنه كان يتكلم الأردو في وطنه الأم وكان يتكلم مع أصدقائه بالأردو أو الإنجليزية. لم يعرف إقبال قواعد اللغة الفارسية في كتابة النثر ورغم أنه لم يذق الطريقة الفارسية في الحياة ولم يعش قط في مهد الثقافة الفارسية ولم يعايشها مباشرة إلا أنه صبّ ببراعة فائقة المواضيع الفلسفية الجذريّة الدقيقة الجديدة في قالب الشعر الفارسي وكثير منها لا يعلا عليها الى يومنا هذا).

عرف إقبال في أوساط النخبة المثقفة الايرانية في اوائل الخمسينات. إن الشاعر الايراني الحائز على الجوائز محمد تقي بهار مدح أعمال إقبال في اللغة الفارسية وجعله عالميّا في ايران.

في عام 1952 بث الدكتور محمد مصدق رئيس وزراء ايران والبطل الوطني في ايران لسياسته في تأميم النفط رسالة خاصة على الراديو بمناسبة (يوم إقبال) حيث مدح دوره في كفاح المسلمين الهنود ضد الامبريالية البريطانية.

في نهاية الخمسينات نشر الايرانيون أعماله الفارسية بالكامل. في الستينات ترجمت أطروحة إقبال للفلسفة الفارسيّة من الإنجليزية الى الفارسية.

العالم الاجتماعي علي شريعتي المتخرّج من جامعة سوبورن اتخذ إقبال قدوة كما كان إقبال متخذا مولانا الرومي قدوة. تلقى إقبال مكان الشرف في بانثيون كتاب القصائد التأمّلية الفارسيين. ويعتبر هذا الأمر تقديرا واحتراما من ايران للعلامة إقبال.

في السبعينات أصبح إقبال أكثر شعبية في ايران. ظهرت أبيات شعره على الأعلام والرايات والشعارات وأنشدت أشعاره في اجتماعات النخبة المثقفة. ألهم إقبال كثيرا من المثقفين من أمثال علي شريعتي ومهدي بازركان وعبد الكريم سروش. ترجم كتابه (إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام) من قبل محمد مسعود نوروزي.

ظهرت تأثيرات إقبال وأشعاره على المفكرين والزعماء المحوريين في ايران خلال قيام الثورة الإسلامية من أمثال خامنه اي وشريعتي وسروش. أشعار إقبال كانت مألوفة لدى كثير من الحرس الثوري.

في افتتاح أول (قمّة إقبال) في طهران في عام 1986 قال خامنه اي بأنه ضمن يقينه التام بأن القرآن والإسلام يجب أن يكونا أساسا لكل الثورات والحركات فإن ايران كانت تتبع بدقة الخطى التي ارانا إياها إقبال.

إن شريعتي الذي كان يعتبر الآيدولوجي الأساسي للثورة في ايران وصف إقبال بأنه أتى برسالة التجديد والصحوة والقوة الى العالم الإسلامي.

مولانا جلال الدين الرومي
الأب الروحي للعلّامة
محمد إقبال لاهوري

نبذة عن مولانا:

مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حُسَيْنَ بَهَاءُ الدِّين البَلَخي الْبَكْرِيّ أو جلال الدين محمد البلخي ولد 604 للهجرة 1207 ميلادي وتوفي 672 للهجرة 1273 ميلادي. عرف أيضا باسم مولانا جَلَال الدِّين الرُّومي. هو شاعر وعالم بفقه الحنفية والخلاف وأنواع العلوم ثم متصوّف (ترك الدنيا والتصنيف) كما يقول مؤرخو العرب. وهو عند غيرهم صاحب المثنوي المشهور بالفارسية وصاحب الطريقة المولوية المنسوبة إلى مولانا جلال الدين.

ولد في منطقة بلخ في خراسان وانتقل مع أبيه إلى بغداد في الرابعة من عمره فترعرع بها في المدرسة المستنصرية حيث نزل أبوه. ولم تطل

إقامته فقد قام أبوه برحلة واسعة ومكث في بعض البلدان مدداً طويلةً وهو معه. ثم استقرّ في قونية عام 623 للهجرة في عهد دولة السلاجقة الأتراك.

وعرف مولانا جلال الدين بالبراعة في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية فتولّى التدريس بقونية في أربع مدارس بعد وفاة أبيه عام 628 للهجرة ثم ترك التدريس والتصنيف والدنيا وتصوّف عام 642 للهجرة أو حولها فشغل بالرياضة وسماع الموسيقى ونظم الأشعار وإنشادها.

تركت أشعاره ومؤلفاته الصوفية والتي كتبت أغلبها باللغة الفارسية وبعضها بالعربية والتركيةتأثيراً واسعاً في العالم الإسلامي وخاصة على الثقافة الفارسية والعربية والأردية والبنغالية والتركية.

وفي العصر الحديث ترجمت بعض أعماله إلى كثير من لغات العالم ولقيت صدًى واسعاً جداً إذ وصفته ال بي بي سي عام 2007 ميلادي بأكثر الشعراء شعبية في الولايات المتحدة.

في عام 1273 ميلادي توفي مولانا ودفن في مدينة قونية وأصبح مدفنه مزاراً إلى يومنا هذا. بعد وفاته قام أتباعه وابنه سلطان ولد بتأسيس الطريقة المولوية الصوفية والتي اشتهرت بدراويشها ورقصتهم الروحية الدائرية التي عرفت بالسماح والرقصة المميزة.

نسبه:

هو جلال الدين محمد بن بهاء الدين محمد بن حسين بن أحمد الخطيبي بن القاسم بن المسيب بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن عبد الرحمن

بن أبي طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي القرشي البكري البلخي.

حياته:

ولد في منطقة بلخ في خراسان وما يعرف حالياً بأفغانستان في 604 للهجرة – 1207 ميلادي. ويَعتقد بعض أتباعه بأنه ولد في مدينة صغيرة تسمّى واخش في طاجكستان الحالية. وحينها كانت بلخ تابعة لإمبراطورية خوارزم الخراسانية. وكانت عائلته تحظى بمصاهرة البيت الحاكم في خوارزم.

كانت أمه مؤمنة خاتون ابنة خوارزم شاه علاء الدين محمد. وكان والده بهاء الدين ولد يلقب بسلطان العارفين لما له من سعة المعرفة والعلم بالدين والقانون والتصوّف.

عند قدوم المغول هاجرت عائلته هرباً إلى نيشابور إذ التقى مولانا هناك بالشاعر الصوفي فريد الدين العطار الذي أهداه ديوانه أسرار نامه والذي أثر على الشاب وكان الدافع لغوصه في عالم الشعر والروحانيات والصوفية.

ومن نيشابور سافر مع عائلته إلى الشام ومنها الى مكة المكرمة رغبة في الحج. ثم سافروا الى الأناضول واستقرّوا في كارامان لمدة سبع سنوات حيث توفيت والدته.

وتزوّج مولانا الرومي بجوهر خاتون وأنجب منها ولديه: سلطان ولد وعلاء الدين شلبي. وعند وفاة زوجته تزوّج مرة أخرى وأنجب ابنه أمير العلم شلبي وابنته ملكة خاتون.

في عام 1228 ميلادي توجّه والده إلى قونية عاصمة السلاجقة بدعوة من علاء الدين كيقباد حاكم الأناضول واستقرّوا بها حيث عمل الوالد على إدارة مدرستها.

تلقى مولانا جلال الدين الرومي العلم على يدي والده وبعد وفاة والده على يدي الشيخ سيد برهان الدين محقق لمدة 9 سنوات ينتهل علوم الدين والتصوّف منه.

وفي عام 1240 ميلادي توفي برهان الدين فانتقل مولانا الرومي إلى مزاولة العمل العام في الموعظة والتدريس في المدرسة. وخلال هذه الفترة توجّه مولانا الرومي إلى دمشق والتقى فيها الشيخ محي الدين بن عربي صاحب كتاب الفتوحات المكية وأهداه بعض أعماله العربية. وقضى مولانا الرومي في دمشق أربع سنوات حيث درس مع نخبة من أعظم العقول الدينية في ذلك الوقت. بمرور السنين تطوّر مولانا جلال الدين في كلا الجانبين: جانب المعرفة وجانب العرفان.

في عام 1244 ميلادي وصل إلى مدينة قونية الشاعر الصوفي شمس الدين تبريزي باحثاً عن شخص يجد فيه خير الصحبة. وقد وجد في مولانا الرومي ضالته. ولم يفترق الصاحبان منذ لقائهما حتى أن تقاربهما ظلّ دافعاً لحسد الكثيرين على مولانا جلال الدين لاستئثاره بمحبة القطب الصوفي التبريزي.

في عام 1248 ميلادي اغتيل شمس الدين تبريزي ولم يعرف قاتله. ويقال إن شمس الدين تبريزي سمع طرقاً على الباب وخرج ولم يعد منذ ذلك الحين.

حزن مولانا الرومي على موت شمس الدين وأحبّه حباً عميقاً خلّف وراءه أشعاراً وموسيقى ورقصاتٍ تحوّلت إلى ديوان سمّاه ديوان شمس الدين تبريزي أو الديوان الكبير.

وحتى مماته كان مولانا الرومي يقدّم المواعظ والمحاضرات إلى مريديه ومعارفه وللمجتمع ووضع معظم أفكاره في كتب بطلب من مريديه.

وتوفي مولانا جلال الدين الرومي في 17 ديسمبر 1273 ميلادي وحمل نعشه أشخاص من الملل الخمسة إلى قبر بجانب قبر والده وسمّى أتباعه هذه الليلة بالعرس وما زالوا يحتفلون بهذه الليلة إلى الآن.

تعاليمه:

كان مولانا جلال الدين مسلماً مؤمناً بتعاليم الإسلام لكنه استطاع جذب أشخاص من ديانات وملل أخرى. وبالنسبة إليه وإلى أتباعه فإن كل الديانات خيّرة وحقيقية بمفاهيمها. لذلك كانوا يعاملون المسلمين والمسيحيين واليهود معاملة سواسية.

وتأثر مولانا الرومي بشمس تبريزي ومحيي الدين بن عربي وعبد القادر الجيلاني. وبطلب من مريديه وضع مولانا الرومي أفكاره ومبادئه في كتاب سمّاه مثنوي الذي استعمل في حياكته خيوطاً من قصص يومية وإرشادات قرآنية وحكمة من خبرته.

كان مولانا الرومي يستعمل الموسيقى والشعر والذكر كسبيل للوصول إلى الله. فالموسيقى الروحية بالنسبة له تساعد المريد على التعرّف على الله والتعلق به.

ومن هذا المنطلق تطوّرت فكرة الرقص الدائري التي وصلت إلى درجة الطقوس. وقد شجّع مولانا الرومي على الإصغاء للموسيقى فيما سمّاه الصوفية السماع. يقوم الشخص فيه بالدوران حول نفسه. فعند المولويين الإنصات للموسيقى هو رحلة روحية تأخذ الإنسان في رحلة تصاعدية من خلال النفس والمحبة الى الوصول إلى الكمال.

بعد وفاة مولانا الرومي حوّل ابنه سلطان ولد تعاليم أبيه إلى سلوك للمريد والذي عُرف بالطريقة المولوية. وانتشرت هذه الطريقة في مختلف أصقاع العالم الإسلامي ولقيتْ صدًى واسعاً في العالم الغربي في العصر الحديث.

أعماله:

تصنف أعمال مولانا الرومي عادة إلى عدة تصانيف وهي:

*الرباعيات

*ديوان الغزل
*مجلّدات المثنوي الستة
*المجالس السبعة
*ورسائل المنبر

شعره:

*مثنوية المعاني: وهي قصائد باللغة الفارسية والتي يسمّيها بعض المتصوّفة بالكتاب المقدّس الفارسي. ويعتبره كثيرون من أهم الكتب الصوفية الشعرية. ويذكر حسين علي محفوظ أن الرومي «نظمه بالعربية» أيضا وإنه يمتلك مخطوطة النسخة العربية النفيسة.

*الديوان الكبير أو ديوان شمس تبريزي والذي كتبه في ذكرى وفاة صاحبه العزيز وملهمه في طريق التصوّف والشعر. وكتب فيه أكثر من أربعين بيت شعر وخمسين قصيدة نثرية.

*الرباعيات: وهي منظومة أحصاها العالم الإيراني المعاصر بديع الزمان فروزانفر كما وردت في طبعة إستانبول فوجد أنها تبلغ 1659 رباعية أي 3318 بيتاً.

*قصيدة أنين الناي: قصيدة لمولانا جلال الدين الرومي ترجمة زهير سالم عن الفارسية بتصرّف:

أنصت إلى الناي يحكي حكايته

ومن ألم الفراق يبث شكايته

ومذ قطعت من الغاب والرجال والنساء لأنيني يبكون

أريد صدراً مِزَقاً مِزَقاً برَّحه الفراق

لأبوح له بألم الاشتياق

فكل من قطع عن أصله

دائماً يحنّ إلى زمان وصله

وهكذا غدوت مطرباً في المحافل

أشدو للسعداء وأنوح للبائسين

وكلٌ يظن أنني له رفيق

ولكن أيّا منهم (السعداء والبائسين) لم يدرك حقيقة ما أنا فيه

لم يكن سرّي بعيداً ولكن

أين هي الأذن الواعية والعين المبصرة

فالجسم مشتبك بالروح والروح متغلغلة في الجسم

ولكن أنّى لإنسان أن يبصر تلك الروح

أنين الناي نار لا هواء

فلا كان من لم تضطرب في قلبه النار

نار الناي هي سورة الخمر وحمّى العشق

وهكذا كان الناي صديق من بان

وهكذا مزقت ألحانه الحجب عن أعيننا

فمن رأى مثل الناي سمّا وترياقاً

ومن رأى مثل الناي خليلاً مشتاقاً

إنه يقصّ علينا حكايات الطريق التي خضّبتها الدماء

ويروي لنا أحاديث عشق المجنون

الحكمة التي يرويها محرّمة على الذين لا يعقلون

إذ لا يشتري عذب الحديث غير الأذن الواعية

نثره:

*كتاب فيه ما فيه: وهو كتاب فيه إحدى وسبعون محاضرة ألقاها مولانا الرومي على صحبه في مناسبات مختلفة. وهو من تجميع مريديه وليس من كتابته هو.

*المجالس السبعة: وهو تجميع لمواعظ ومحاضرات ألقاها في سبع مناسبات مختلفة تتناول مواضيع عن القرآن والحديث الشريف. وتتضمّن أشعار فريد الدين عطار وسنائي وللرومي نفسه. وقد قدّم هذه المحاضرات بطلب من أشراف القوم مثل صلاح الدين زغرب.

*الرسائل: وهي رسائل كتبها بالفارسية والعربية إلى مريديه ومعارفه ورجال الدولة. وهي تدلّ على اهتمام مولانا الرومي وانشغاله بمعارف مريديه وما أصبح له من تأثير كبير عليهم.

أشهر أقواله:

*مَنْ لا يركض إلى فتنة العشق يمشي طريقاً لا شيء فيه حيّ.

*إنك قد رأيت الصورة ولكنك غفلت عن المعنى.

*هكذا أودّ أن أموت في العشق الذي أكنّه لك كقطع سحب تذوب في ضوء الشمس.

*ارتق بمستوى حديثك لا بمستوى صوتك فالمطر الذي ينميّ الأزهار وليس الرعد.

*لا يفنى في الله مَنْ لا يعرف قوة الرقص.

تأثير مؤلفاته:

كانت لمؤلّفات مولانا جلال الدين التأثير الكبير في الأدب الفارسي والتركي والعربي والأردي كما أثرت مؤلفاته في التصوّف.

تمّت ترجمات أشعار مولانا الرومي لتعظيمه قوة الحب واعتقاده في الفائدة الروحية للموسيقى والرقص.

تمّت ترجمة العديد من مؤلفات مولانا إلى اللغات العالمية المعاصرة ومن ضمنها اللغات الأوربية. كما غنّى نجوم موسيقى بوب غربيون مثل مادونا.

قال عباس محمود العقاد:

«يتنافس على نِسبة مولانا جلال الدين أربعة أوطان: بلاد الأفغان وبلاد فارس وبلاد العرب وبلاد الترك التي اشتهرت ببلاد الروم. فهو قد وُلِد في بلخ من بلاد الأفغان في بيتٍ عريقٍ من بيوت العلم والإمارة.
ونظم بالفارسية والتركية والعربية. ونسبه عربيّ صميم إلى الخليفة أبي بكر الصديق. وعاش في بغداد حينا. وضريحه في قونية حيث وفاته. فلا جرم أن تتفتح الأبواب للتنافس عليه بحجة من الحجج لكل منافس يحرص على هذه الدرّة النفيسة. وإنها في الحق لذخيرة للحضارة الإسلامية وللإنسانية يأخذ منها مَنْ شاء من بني الإنسان بنصيب موفور».

قواعد العشق الأربعون: من أبرز الأدلة على تأثير مولانا جلال الدين الرومي في الثقافة الحديثة والمعاصرة. إن واحدة من أبرز وأشهر الروايات الحديثة استمدّت أحداثها من السيرة الذاتية للصوفي الشهير وهي رواية (قواعد العشق الأربعون) للكاتبة التركية ألف شفق.

وتدور أحداث الرواية في خطّين متوازيين أحدهما يدور حول علاقة الصداقة التي ربطت بين مولانا جلال الدين الرومي وشمس الدين تبريزي. كما تبرز الرواية جانباً من تعاليم وأفكار الرومي الصوفية.

صدرت الرواية في عام 2010 وحققت نجاحاً مدوّياً حيث وصل عدد النسخ المبيعة منها في تركيا إلى أكثر من مليون نسخة. وفي الأعوام التالية تمّ ترجمة الرواية إلى العديد من اللغات الحيّة وتصدّرت الرواية قوائم الكتب الأكثر مبيعاً في العديد من الدول حول العالم.

ويعتبر مولانا جلال الدين المولوي (المشهور بمولانا) من أبرز أعلام التصوّف الفلسفي في التاريخ الإسلامي وأكثرهم تأثيرا على مرّ العصور. يلقب بـ"مولانا الجلال" ويوصف بأنه ذو رؤية تمثل رسالة عالمية تخاطب كافة حضارات العالم باعتبارها مصدر إلهام لكل الناس.

ولد مولانا جلال الدين مولوي عام 604 للهجرة في مدينة (بَلْخْ) في بلاد فارس ثم انتقل مع أبيه إلى بغداد ومنها إلى بلدان كثيرة. وفي عام 628 للهجرة رحل إلى (قُونِية) إحدى مدن بلاد الروم واستقرَّ فيها.

بَرِع جلال الدين في الفقه الحنفي وله مشاركات في علوم مختلفة. تولَّى التدريس في عدة مدارس. وفي عام 628 للهجرة توفي والده وبعد وفاته ترك مولانا التدريس والتصنيف وتصوَّف وانشغل بنظم الأشعار وإنشادها وسماع الموسيقى. كثُر اتباعه ومريدوه وأتباع طريقته وأطلقوا عليه لقب (مولانا الجلال) وتوفي في عام 672 للهجرة.

تبوّأ مولانا جلال الدين مولوي منزلة رفيعة في الأدب الإنساني والفارسي. وله عدَّة مؤلفات أشهرها (المثنوي) بالفارسية. وتُرجم إلى التركية والعربية وهو مطبوع. وكتاب المثنوي عبارة عن منظومة فلسفية يقرّر فيها ما يعتقده

ويميل إليه في أبواب العقائد والذوق والأخلاق. وقد شحن كتابه بالأمثال وبالقصص والحوارات والمواقف!

كان مولانا مولوي محلّ اهتمام المستشرقين الغربيين. وتركت اشعاره ومؤلفاته التي كتبت بلغته الأمّ الفارسية تأثيراً واسعاً في العالم الإسلامي خاصة على الثقافات الفارسية والأردية والبنغالية والتركية. وفي العصر الحديث ترجمت بعض أعماله الى كثير من لغات العالم ولقيت صدى واسعاً جداً.

فصولٌ من المثنوي: هو كتاب للأستاذ عبد الوهاب عزّام عرض فيه صورًا من كتاب المثنوى لمولانا جلال الدين الرومى وهو الكتاب الشهير لمولانا الرومي الذي قال عنه العلاّمة فروزانفر (المثنوي كتابُ حكمة وفلسفة وأخلاق وذوق وحال وتربية ومعارف اجتماعية).

وشاعت تسمية المثنوي «القرآن فى اللغة الفارسية» أو (القرآن بالبهلوي) وهي تسمية لا تدلّ على أن أهل فارس اتخذوا من المثنوي قرانًا وتخلّوا عن (القرآن الكريم) بل يظهر منها اهتمامهم بهذا الكتاب الذي يُعدّ من أهمّ الكتب الصوفية والعرفانية التي كُتبت باللغة الفارسية. وقد علّق البعض على هذه التسمية بشكل سلبيّ خاصّة أهل التيار السلفي والمخاصمون للتصوّف. فإن تعليقهم صادر عن خلطهم بين ما يصدر عن إيران من كتابات واهتمام ببعض علماء الإسلام وبين ما يعتقدونه ويدينون به.

على أن تقديس الكتب وإن عرفه أهل إيران فهو منقبة لا مسلبة. فإن التيار السلفي يقدّس من الكتب ما لا يُحصى ومن الشخصيات ما يراه على صواب

دومًا. فالفعل مشترك: إن صحّ أن يُدان أحد لاهتمامه بكتاب أو شخص فالإدانة واقعة عليهم أيضًا.

ما معنى كلمة مثنوي؟

تطلقُ كلمةُ (مثنوى) في الاصطلاح الأدبي على الأشعار التى لشطري كل بيت منها قافية واحدة وهي فى مجموعها متماثلة الوزن مختلفة الرؤى. وقد كان هذا النوع من الشعر موجودًا من أقدم العهود في اللغة الفارسية واعتمده الشعراء الفرس منذ أن نما وتطوّر الشعر الفارسى. فنحن نجده في (كليلة ودمنة) والمنظومة للرودكي و(آفرين نامه) لأبي شكور وأمثالهم. ولكن كلمة (المثنوي) حيثما قيلت أو أطلقت فلا ينصرف الذهن إلاّ إلى مثنوى مولانا جلال الدين الرومي.

من هو عبد الوهاب عزّام؟

يعتبر الأستاذ عبد الوهاب عزّام طليعة المدرسة المصرية في الدراسات الشرقية التي ارتأت أن العناية بالدراسات الفارسية سبيل من السبل الهامة لفهم الحضارة الإسلامية.

خاض الأستاذ عزّام هذا الميدان وعمل فيه بأسلوب علمي راقٍ من خلال مطالعته لتراث الإسلام في لغتيه العربية والفارسية. وكذلك من خلال مطالعته في الثقافة الغربية واتصاله بالأساتذة المتخصّصين فترة دراسته في الخارج.

وبعد عودته ظلّ على اتصال بهؤلاء نذكر منهم المستشرق الإنجليزي نيكلسون الذي اشتهر بدراساته الأدبية والصوفية. وتقاطع اهتمام عزّام بمولانا الرّومي وفريد الدين العطّار وغيرهما من أعلام التصوّف الفارسي معه. كتب عزّام عن نيكلسون في مجلّة الرسالة ليعرّف القراء به كما عرّفهم بغيره من أعلام المستشرقين.

وعلى الرغم من محبته الصادقة لهؤلاء الدارسين إلاّ أنه لم يتابعهم في كل ما كتبوه عن التصوّف وساجلهم في بحوثه ومقالاته وكتبه.

لم يكن كتاب (فصول من المثنوي) هو الثمرة الأولى التي خرجت من حديقة عزّام عن التصوّف وأعلامه فقد سبقه بإصدار كتاب هام في وقته عن التصوّف وفريد الدين العطّار وظلّ الكتاب حتى يومنا هذا حاضرًا في المجال الدراسي والصوفي لمن أراد أن يتعرّف على عطّار نيشابور.

فريدُ الدّين العطّار صاحب منطق الطّير وإلهي نامه ومصيبت نامه أحد أشهر ثلاثة ارتبطت أشعارهم بالتصوّف الإسلامي:

*أوّلهم سنائي الغزنوي صاحب حديقة الحقيقة التي تأثر بها مولانا جلال الدّين الرومي تأثّرا بالغًا في كتابة المثنوي.

*وثانيهم العطّار.

*وثالثهم وأعظمهم وأشهرهم اليوم هو جلال الدين الرومي.

ويعدّ عطّار نيشابور أحد الآباء الروحيين لمولانا الرومي فالكتابة عنه تمهيد ومفتتح لبستان مولانا الرومي الكبير فضلاً عن أصالة العطار وقيمته.

بدأ عزّام كتابه عن العطّار بدراسة تمهيدية عن التّصوّف كيف نشأ وكيف تطوّر في فصلين. وناقش فيهما آراء المستشرقين في مصدريّة التصوّف وتطوّره. ثم أصّل للتصوّف من خلال آيات القرآن وأحاديث النبي الأكرم ص ثم عقد بابًا للحديث عن التصوّف والأدب ثم دراسة موجزة لإنتاج فريد الدين العطار. وفي الباب الرابع تناول تصوّف العطّار في عدّة فصول على النحو التالي:

*طريق المعرفة عند العطّار

*الله والعالم والإنسان عند العطّار

*القضاء والقدر عند العطّار

*الطريقة عند العطّار

*تصوّفُ العطّار والإسلام.

"إن ابنك هذا سيُضرمُ النّار سريعًا في هشيم العالم". نُسبت هذه الجملة في (تذكرة دولتشاه) إلى فريد الدين العطار متحدثًا مع بهاء ولد بعد أن وصل إلى نيشابور ومعه ابنه جلال الدّين الرومي.

مولانا واصفا المثنوي:

يصف مولانا جلال الدين الرومي خلاصة سيره الفكريّ وعصارة عرفانه الذي سجّله في المثنوي قائلاً:

مثنوينا هو المحبوب المعنوي الذي لا نظير له في الجمال والكمال. كذلك هو بستانٌ مهيّأٌ وشجرةٌ مهنّأةٌ صُنعت من أجل مجلوّي القلوب أصحاب النظرِ والعشّاق محترقي الأكباد. فما أسعد الرّوحَ الذي يغدو محظوظًا بمشاهدة حسناء الغيب هذه ويغدو ملحوظ نظر عناية رجال الله لكي يدوّن في دفتر (نعم العبد إنّه أوّاب).

ومما يُروى من جميل كلام مولانا الرومي عن المثنوي أنه كان قد كتب على ظهر المثنوي: "لم أنظم المثنوي لكي يُجعل وشاحًا ويُكرّر بل لكي يُوضع تحت القدمِ ويُصعد به إلى السّماء لأن المثنوي هو سُلّم معراج الحقائق وليس من شأنك أن تحمل السلّم على رقبتك وتدور من مدينة إلى مدينة. فإنك لن تصعد إلى سقف المقصود ولن تصل إلى مراد القلب.

كتاب فصول من المثنوي لعبد الوهاب عزام:

كان عبد الوهاب عزّام من أوائل من اهتمّوا بتعريف القارئ العربي بمولانا جلال الدين الرومي على صفحات مجلّة الرسالة المصرية. كتبَ عدةَ مقالاتٍ

تَحْت بابِ الأدبِ الفارسي وكذلك فعَلَ على صفحاتِ مجلةِ الثقافةِ المصرية. ونُشرت المقالات في عام 1942.

ثم نشر الأستاذ عزّام كتابه بعنوان «فصول من المثنوي» في عام1946 جمع فيه هذه المقالات التي سبق له نشرها وجعلها مقدِّمة لفصولٍ ترجمها عن المثنوي. وهذه الفصول هي: «قصة التاجر والببغاء» و«قصة الأسد والوحوش» من المجلد الأول ثم مقدّمة الجزء الثالث من المثنوي. وترجمة القصة الأولى جعلها منظومة وقد قرن فيها الترجمة العربيّة بالنصّ الفارسيّ وبلغ عدد الأبيات المترجمة نحواً من ستمائة بيت.

كما نشر الأستاذ عزام فصلاً موجزًا في التعريف بمولانا جلال الدين الرومي في كتاب «قصة الأدب في العالم» وضمّنه منظومة لمقدمة المثنوي.

في (فصول من المثنوي) صدّر عزّام كتابه ببيتين من أشعار مولانا الرّومي أولهما:

أين صدرٌ من فراق مُزقّا / كي أبثّ الوجد فيه حرقا

والبيت الآخر يخلص الرّومي فيه مسيرته في كلمات ثلاث:

حاصلُ العمر حوته أحرُفٌ / كنتُ نيئًا قبلُ.. أُنضِجتُ .. احترقتُ

وفي مقدّمة الفصول يعتبر عزّام كتابه فاتحة لترجمات وأبحاث في الأدب الصوفي سيخصّص جزءًا كبيرا من جهوده للقيام بها. ويبدأ سيرة مولانا الرومي بعبارة تدلّ على حضوره في العالم العربي.

قال: تكايا المولوية لا تزال قائمة في مصر والشّام.

لكنها لم تعد كذلك اليوم كما كانت وقت كتابة عزّام لكتابه (عام 1946). وتحوّلت آثار المولوية إلى أماكن متحفية تُزار للتصوير لا ذكر فيها ولا تلاوة للمثنوي.

وتأكيدًا على عظمة وأهمّية كتاب المثنوي يذكر عزّام كلمة عبد الرحمن الجامي (تُوفي عام 898 للهجرة) في شأن المثنوي:

(إن كنت عالمًا بأسرار المعرفة فدع اللفظ واقصد المعنى: إن المثنوي المعنوي لمولانا المولوي هو القرآن باللسان الفارسي. ماذا أقول في وصف هذا العظيم؟ لم يكن نبيًّا ولكنه أوتي الكتاب).

يعلّق فريد قطاط على هذه المقولة المنسوبة للجامي قائلاً: هذا القول جزء من بيت شعري ورد ضمن قطعة شعرية نسبها (نيكلسون) في الصفحة الثانية من شرحه للمثنوي و (آنّا ماري شيمل) في الصفحة 315 من كتابها (الشمس

المنتصرة) إلى الشاعر الشهير عبد الرحمن جامي. لكن سيد تقي آل ياسين أكّد أن هذه النسبة خاطئة في مقاله (المثنوي قرآن الشعر الفارسي).

وينتقل عزّام للحديث عن سيرة مولانا الرّومي ويكتفي بذكر اسمه مبتعدًا عن الخلاف والنزاع في شأن نسبته إلى أبي بكر الصدّيق أو تنازع العرب والفرس عليه مكتفيًا بتلخيص ذلك بذكره لبيت شعري عربي:

أبي الإسلامُ لا أب لي سواه .. إذا افتخروا بقيس أو تميم

ويتحدّث عزّام عن والد مولانا الرومي بشيء من الإيجاز وعن رحلته وأسفاره حتى يستقرّ به المقام في قونيه. ثم ينتقل للحديث عن مولانا الرومي وشيوخه. ويفرد لشمس تبريزي حديثًا خاصًا. ويرجع نسبه إلى أصول إسماعيلية كما فعل عارف تامر ومصطفى غالب عند الحديث عن شمس تبريزي. ويعيّن عزّام شمسًا فهو ليس صوفيًّا جوّالا مجهولا أو غامضة سيرته بل هو سالك له سند في الطريقة الصوفية. تلقى التصوّف على مشايخ بعينهم وقد هاجر من موطنه استجابة لأمر شيخه.

ويعتبر عزّام المثنوي منظومة صوفية فلسفية عظيمة. ولحسام الدين جلبي في الكتاب دورٌ لا يقلُّ عن دور شمس تبريزي في الديوان. إذ كانت طريقة تدوين المثنوي أن يُملي الرومي الكتاب وحُسام يكتبُ. وكانا أحيانًا يقطعان الليل كله إنشاءً وكتابة تدلُّ على هذا روايات وفصولٌ من المثنوي نفسه.

ورغم أن مولانا الرومي نظّم المثنوي على وزن معيّن إلاّ أنه لم يكن منشغلاً مستغرقًا في النظم. وسرعان ما نقله الشاغل اللفظي إلى الحبيب المشغول به.

يقول مولانا الرومي في قصة التاجر والببغاء: أفكرُ في القافية وحبيبي يقول لا تفكّر إلاّ في رؤيتي. اطمئن أيها المفكر في القافية فأنت قافية السعادة أمامي. ما الحرفُ فتفكّر فيه؟ إنه الشوق في جدار البستان. إني أمحقُ القول والحرف والصوتَ لأناجيك بغير هذه الثلاث. أفشي إليك السرّ الذي أخفيته عن آدم يا سرَّ العالمِ... إن وراء الصوت والحرف بل وراء الأسماع والأفهام ما أحسّه.

بعد حديث عزّام عن المثنوي وأسلوب مولانا جلال الدين الرومي يورد ما اصطلح على تسميته (أغنية الناي) التي شاعت وانتشرت في اللغة الإنجليزية عبر الترجمة. وكان عزّام قد ترجمها إلى العربية منذ وقت مبكّر وأدرجها في كتابه (قصة الأدب في العالم) ومنها:

استمع للناي غنّى وحكى / شفّه الوجد طويلاً فشكى
مذ نأى الغابُ وكان الوطنا / ملأ الناس أنيني شجنا
أين صدرٌ من فراق مُزقّا / كي أبثّ الوجد فيه حُرَقا
من تشرِّده النوى من أصله / يبتغي الرُجعى لمَغْنَى وصله
كلُّ نادٍ قد رآني نادبا / كلّ قوم تخِذوني صاحبا
ظنّ كلٌّ أنّني نعم السمير / ليس يدري أيّ سرّ في الضمير

ثم يخصّص عزّام حديثًا لديوان مولانا الرومي (غزليات شمس تبريزي) بعد حديثه عن المثنوي. ويفرّق عزّام بين المثنوي والديوان على النحو التالي:

الفرقُ بين المثنوي والديوان أن الأول منظومة واحدة في وزن واحد من التقفية وفيها تعليم بين تفسير آية وشرح قصّة وضرب مثلٍ وإن كان هذا كله متصلاً بمقصده الأخير حبُّ الله والفناء فيه.

فمولانا جلال الدين الرومي في المثنوي أستاذ معلّم مختلف الأساليب يخاطب وينصح ويعظ. وينتقل بتلاميذه من فن إلى آخر. ويغلبه الوجد بين الحين والحين فيرتمي في البحر الذي لا يعرف سابحه أو غريقه ساحلاً.

وأمّا الديوان فهو قصائد قصيرة يغلبُ فيها فورة الشعر وخياله فهو من هذه الناحية أعلى من المثنوي وأدق وأدخل في الشعر ويكثر فيه الرمز ويجود فيه التصوير ومنه:

هذه الدار لا تفتر فيها الألحان / سل ربّها أي دارٍ هذه

إن كانت الكعبة فما صورة الصنم هذه / وإن كانت دير المجوس فما هذا النور الإلهي

في هذه الدّار كنزٌ يضيقُ به العالم / إنما هذه الدار وهذا السيد فعلٌ وذريعة

أيّها السيد أطل علينا من الشرفة مرة / فإن في خدّك الجميل أمارة من الإقبال

أقسم بروحك ما عدا رؤية وجهك / ولو كان مُلك العالم خيال وخرافة

وفي الفصل المخصّص للحديث عن آراء مولانا الرومي الفلسفية والأخلاقية والصوفية والدينية يقول عبد الوهاب عزّام:

يتعذّر على الباحث أن يُجمل آراء مولانا ولو في المسائل الكبرى. فإن مسألة واحدة منها تحتاج إلى فصلٍ أو أكثر. فقصارى المتكلّم في مثل هذا المقام أن يعرض أمثلة من قوله في بعض المسائل. وعليه فقد عرض عزّام لفكرة الفناء والقضاء والقدر عند مولانا الرومي بشكل موجز وسريع.

ثم شرع في ترجمة ما اعتزم أن يقدّمه للقراء كمختارات من المثنوي. فترجم قصة «التاجر والببغاء» و «قصة الأسد والوحوش» من المجلد الأول. ثم مقدمة الجزء الثالث من المثنوي. وترجمة القصة الأولى منظومة. وقد قرن فيها الترجمة العربيّة بالنصّ الفارسيّ وبلغ عدد الأبيات المترجمة نحواً من ستمائة بيت.[7]

7

*بديع الزمان فروزانفر في كتابه (من بلخ إلى قونية) ترجمة عيسى علي العاكوب نشرة دار الفكر سوريا عام 2006.

*محمد عبد السلام كفافي في كتابه (الدراسات الفارسية في مصر وجهود عبد الوهاب عزّام) مجلة الكتاب العربي عدد 44 يناير 1969.

*عبد الوهّاب عزّام في كتابه (التصوف وفريد الدّين العطّار) نشرة حديثة أعادت طباعتها مؤسسة هنداوي القاهرة عام 2013.

*محمد عبد السلام كفافي في كتابه (مثنوي جلال الدين الرومي) الجزء الأول نشرة المكتبة العصرية بيروت.

من هو
الشاعر الألماني غوته

ولد (يوهان فولف غانغ فون غوته) في 28 أغسطس 1749 في فرانكفورت وتوفي في 22 مارس 1832 في فايمار. في عام 1782 تغيّر اسمه الى فون غوته.

---

*احمد أمين وزكي نجيب محمود في كتابهما (قصة الأدب في العالم) الجزء الأول.

*فريد قطاط في كتابه (الرمزية والتمثيل في قصّة العميان والفيل) وقائع الندوة التي أقيمت بمناسبة المئوية الثامنة لوفاة مولانا جلال الدين الرومي نشرة المجمع التونسي للآداب والفنون قرطاج عام 2009.

*عارف تامر في مقالين له نُشرا في مجلة الدراسات الأدبية ببيروت.

*مصطفى غالب في كتابه عن الرومي الذي نُشر في دار الأندلس بيروت.

كان شاعرا وعالما طبيعيا وواحداً من أهمّ مبدعي الشعر باللغة الألمانية.

ومن أشهر أعماله: آلام فيرتر وفاوست وغوتس فون برليشنغن والمسرحيات نزوة عاشق والمتواطئون وكلافيغو وايغمونت وستيلا وإفيجينا في تاورس وتوركواتو تاسو.

ومن قصائده بروميتيوس والمرثيات الرومانية والديوان الغربي والشرقي (والذي ظهر فيه تأثره بالفكر العربي والفارسي والإسلامي).

نبذة من حياته:

ولد غوته لعائلة مرموقة من الطبقة الوسطى وكان جده لأمه أعلى مسؤول قضائي في مدينة فرانكفورت. وكان والده متخصّصاً في القانون وعضواً في المجلس الإمبراطوري.

تلقى هو وشقيقته كورنيليا تعليما منزليا ودرس تبعاً لرغبة والده القانون في كل من لايبزيغ وستراسبورغ. ثم عمل محاميا في فتسلار وفرانكفورت. في نفس الوقت تابع غوته شغفه بالشعر وحقق أول إنجاز أدبي في عام 1773 وهو دراما غوتس فون برليشنغين التي لاقت رواجاً واسعاً.

ثم تبعتها عام 1774 رواية آلام فيرتر التي اشتهر بها في كل أوروبا. وينتمي كلا العملين إلى الحركة الأدبية التي عرفت باسم (العاصفة والاندفاع) في الأعوام 1765 إلى 1785.

كان في السادسة والعشرين من عمره عندما دعاه أمير (دوقية فايمار) فأتاه واستقرّ في فايمار لبقية حياته بصفته صديقاً ووزيراً للدوق كارل أغسطس. وشغل هناك مناصب سياسية وإدارية وترأس مسرح البلاط لمدة ربع قرن.

تسبّب نشاطه الرسمي في أعوامه العشر الأولى في فايمار بإهمال قدراته الإبداعية. وتسبّب ذلك بأزمة شخصية لديه دفعته إلى الفرار إلى إيطاليا حيث استمرّت رحلته من سبتمبر 1786 إلى مايو 1788 وعدّها ولادة جديدة.

وعاد بعدها إلى النشاط الأدبي. ونشر في الأعوام التي تلت عودته بعضا من أهم أعماله مثل ايغمونت وايفيغينيا في تاوريس وتوركواتو تاسو.

اقتصرت واجباته الرسمية بعد عودته من إيطاليا إلى حدٍّ كبير على إدارة مسرح بلاط فايمار بينما حفز التراث الثقافي الذي تعرّف إليه في إيطاليا إنتاجه الشعري ودفعته التجارب الحميمة التي عاشها هناك إلى بدء علاقة حبّ (غير لائقة) في فايمار مع كريستيانه فولبيوس التي تزوّجها بعد ثمانية عشر عاما من العلاقة.

ترك غوته إرثاً أدبياً وثقافياً ضخماً للمكتبة الألمانية والعالمية وكان له بالغ الأثر في الحياة الشعرية والأدبية والفلسفية. تنوّعت مؤلفاته بين الرواية والشعر والمسرح والدراما والملحمة والسيرة الذاتية والنظرية الأدبية والفنية بالإضافة إلى الكتابات العلمية. كما تعدّ مراسلاته الواسعة ذات أهمية أدبية. كان غوته هو مؤسّس تيار «العاصفة والاندفاع» الأدبي وأهمّ ممثليه.

اكتسب غوته في حياته شهرة في كل أنحاء أوروبا حتى أن نابليون دعاه إلى لقاء شخصيّ على هامش مؤتمر ارفورت.

تشكّلت مرحلة فايمار الكلاسيكية في تعاونه مع فريدريك شيلر ويوهان هردر وكريستوف فيلاند. وأصبحت روايات (فلهلم مايستر) رائدة في نوع الروايات الفنية وما عرف بـ (رواية التعلّم) في الأدب الألماني. وقد حظيت دراما فاست (1808) بسمعة عالمية باعتبارها أهمّ إبداع أدبي باللغة الألمانية.

كان غوته حياً وفي سنّ الشيخوخة عندما صار يعتبر في ألمانيا وخارجها ممثلاً للفكر الألماني. ومُجّد في الامبراطورية الألمانية باعتباره الشاعر القومي الألماني والمعبّر عن (الجوهر الألماني). ووظف على هذا النحو في التوجّهات القومية الألمانية.

ولم يقتصر التقديس آنذاك على أعمال غوته فحسب بل قدّست شخصية الشاعر الذي كان يُنظر إلى أسلوب حياته على أنه نموذجي. وتعدّ قصائد غوته ومسرحياته ورواياته حتى يومنا هذا من بين روائع الأدب العالمي. وقد أطلق اسمه على أشهر معهد لنشر الثقافة الألمانية في شتى أنحاء العالم وهو (معهد غوته).

عائلة غوته:

ولد يوهان فولفغانغ فون غوته في 28 أغسطس 1749 في منزل عائلة غوته (الذي ما زال قائماً إلى اليوم) في حيّ هيرش غرابن في

فرانكفورت التي وفد إليها جده فريدريش غيورغ غوته (1657-1730) من مقاطعة تورينغن عام 1687.

عمل جدّه خياطاً ثم تزوّج لاحقا من ابنة صاحب نزل مزدهر فحقق ثروة كبيرة من النزل ومن تجارة النبيذ أورثها فيما بعد في صورة عقارات وقروض عقارية وأموال لابنيه من زواجه الأول وابنه الأصغر يوهان كاسبار غوته (1710-1782) والد يوهان فولفجانج غوته.

حصل والد غوته على درجة الدكتوراه في القانون من جامعة لايبزيغ. لكنه لم يمارس مهنة المحاماة بل عاش على ريع ثروته الموروثة وارتقى في طبقات مجتمع فرانكفورت باللقب الفخري «المستشار الإمبراطوري». ومكنت هذه الثروة ابنه لاحقاً من العيش والدراسة دون قيود مالية.

كان والد غوته رغم ثقافته الواسعة صارماً وأدّى ذلك إلى صراعات داخل الأسرة. وكانت والدته كاثرينا اليزابيث غوته (1731-1808) ابنة لعائلة تيكستور الثرية المرموقة في فرانكفورت. وكان والدها (جدّ غوته) يوهان فولفغانغ تيكستور أرفع مسؤول قضائي في المدينة. وقد تزوّجت في سنّ السابعة عشرة والد غوته البالغ من العمر 38 عاما وأنجبت بعد يوهان فولفغانغ خمسة أطفال آخرين توفوا جميعهم صغاراً باستثناء الأخت الصغرى كورنيليا التي كان غوته على علاقة وثيقة بها تضمّنت مشاعر (حميمية) وفقاً لكاتب السيرة نيكولاس بويل والمحلل النفسي كورت روبرت ايسلر.

تعليمه المبكر وبداياته الأدبية:

التحق في الأعوام 1756 إلى 1758 بمدرسة عامة. بعد ذلك تلقى في رفقة أخته تعليماً منزلياً مكثفاً على أيدي والدهما وثمانية مدرّسين خاصين. تعلّم غوته من اللغات الكلاسيكية اللاتينية واليونانية والعبرية بالإضافة إلى اللغات الحيّة الفرنسية والايطالية والانجليزية و«الألمانية اليهودية» (اللغة الييدشية) التي كانت حضوراً حياً في حارة اليهود في فرانكفورت.

كما تضمّنت جدول الدروس العلوم والدين والرسم. وتعلّم أيضا العزف على البيانو والتشيلو وركوب الخيل والمبارزة والرقص.

احتكّ غوته بالأدب في سنّ مبكّرة بدءاً من القصص التي كانت تقرأها الأمّ قبل النوم ومروراً بتلاوة الكتاب المقدّس في الأسرة المتدينة ذات المذهب البروتستانتي اللوثري.

وفي عيد ميلاده في عام 1753 أهدته جدّته «مسرحاً للعرائس». حفظ المسرحية المخصّصة له عن ظهر قلب وأدّاها مراراً وتكراراً بحماس مع أصدقائه حيث ظهرت موهبته. فبدأت مخيلته الأدبية في الحكايات الخيالية الأولى التي كتبها بصيغة الـ«أنا» تثير الدهشة والإعجاب في محيطه.

حوت مكتبة والده حوالي 2000 كتاب. وهكذا تعرّف غوته منذ الطفولة على الأدب الشعبي ومنه حكاية فاوست.

خلال حرب السنوات السبع نزل قائد المدينة الفرنسي الكونت ثورانك في بيت غوتهمن 1759 إلى 1761 فكان له ولفرقة المسرحية التي حضرت معه المزيّة في تعرّف غوته على الأدب الفرنسي.

في سنّ الثانية عشرة بدأ غوته رواية متعدّدة اللغات تداخلت وامتزجت فيها جميع اللغات التي كان يعرفها.

يرى كتّاب سيرة غوتة نيكولاس بويل ورودیجر سافرانسكي أنه كان طفلاً موهوباً ولكنه لم يكن الطفل المعجزة مثل موتسارت على سبيل المثال. تعلّم اللغات بسرعة وكان يمتلك براعة غير طفولية في نظم الأبيات وكان مفعماً بالحيوية والنشاط وعنيداً لكن بلا عمق.

لايبزيغ (1765-1768):

عملاً بتعليمات والده بدأ غوته في خريف عام 1765 دراسة القانون في جامعة لايبزيغ. وبخلاف مدينة فرانكفورت التقليدية التي لم تكن فيها جامعة كانت لايبزيغ آنذاك مدينة أنيقة ومنفتحة أُطلق عليها اسم باريس الصغيرة.

هناك عومل غوته كشخص قادم من الريف وكان عليه أولاً أن يتكيّف مع الملابس والعادات السائدة هناك. وقدّم له والده منحة شهرية بقيمة 100 غيلدر وهي ضعف ما كان يحتاجه طالب في أغلى الجامعات آنذاك.

وعلى الرغم من أن والده كان قد عهد برعايته إلى أستاذ التاريخ والقانون الدستوري (يوهان غوتلوب بوهمه) ونهاه عن تغيير موضوع دراسته إلا أن غوته أهمل بسرعة الدراسة الإجبارية وفضّل حضور المحاضرات الشعرية التي كان يلقيها كريستيان فورشتيغوت غيليرت الذي سمح للطلاب بعرض تجاربهم الأدبية عليه.

لم يكن غيليرت ميّالا لقبول النصوص الشعرية وأحال محاولات غوته الشعرية (بما في ذلك قصيدة الزفاف إلى العم تيكستور) إلى نائبه الذي لم تحظ هذه القصائد بتقديره.

واصل غوته دروس الرسم التي بدأها في فرانكفورت مع الرسّام آدم فريدريش أوزر الذي كان قد أسّس أكاديمية لايبزيغ للفنون وأدارها منذ عام 1764. وقد عرّفه أوزر على أفكار تلميذه يوهان يواخيم فينكلمان الفنية المثالية التي كانت تستلهم العصور القديمة وعمّق فهمه للفن وقدرته على التقييم الفني.

وقد أشار غوته لاحقا في رسالة شكر كتبها إليه من فرانكفورت إلى أنه قد تعلّم منه أكثر مما تعلّمه في كل تلك السنوات التي قضاها في الجامعة.

تعرّف غوته عام 1765إلى ابنة أوزر فريدريكه إليزابيث (1748-1829) ونشأت بينهما صداقة ومراسلات استمرّت لبعض الوقت بعد مغادرته لايبزيغ. كما ظلّ أوزر حتى وفاته على تواصل مع غوته. في فترة دراسته في لايبزيغ تعلّم غوته تقنيات التمنيش والنقش على الخشب على يد النحات يوهان ميخائيل ستوك.

بعيدًا عن المنزل تمتع غوته البالغ من العمر 16-17 سنة بحرّية أكبر في لايبزيغ وحضر عروض المسرحية وقضى الأمسيات مع الأصدقاء وذهب في رحلات استكشافية الى المنطقة المحيطة.

في لايبزيغ أيضا أقام أول علاقة حب جدّية مع ابنة الحرفيّ وصاحب النزل كيتشين شونكوبف وهي علاقة استمرّت لعامين. هيمنت المشاعر في تلك

السنوات على أسلوبه الشعري الذي حرّره من أسلوب الروكوكو المعتاد وباتت نبرته أكثر حرية وانطلاقاً.

نشرت مجموعة من 19 قصيدة نسخها صديقه ارنست فولفغانغ بيريش في ديوان بعنوان (أنيت). ونشرت له مجموعة صغيرة أخرى من القصائد في عام 1769 تحت عنوان (أغاني جديدة). كان شعر غوته المبكر وفقًا لكاتب السيرة نيكولاس بويل «ايروتيكيا بلا هوادة» ويتعامل مباشرة مع أقوى مصادر الإرادة الفردية والشعور.

في يوليو 1768 عانى غوته من نزيف داخلي حاد نتيجة لمرض السل. وبسبب تدهور صحته عاد إلى منزل والديه في فرانكفورت بدون شهادة أكاديمية مخيّبا آمال والده.

مرحلة ستراسبورغ (1768-1771):

تطلّب المرض الخطير الذي تعرّض له فترة نقاهة طويلة وجعله أكثر تقبلا لأفكار التقوى التي قرّبتها إليه صديقة أمه سوزانه فون كليتنبيرغ التي كانت تتبع الكنيسة المورافية. واقترب في تلك الفترة الى الأفكار المسيحية.

انشغل غوته أيضا بقراءة الكتابات الصوفية والخيميائية وهي قراءات ستظهر لاحقا في عمله البارز فاوست. وكتب في تلك الفترة أول مسرحية كوميدية له بعنوان «المتواطئون».

بعد تعافيه من المرض استأنف في أبريل 1770 دراسته في جامعة ستراسبورغ. وكانت ستراسبورغ التي كان تعداد سكانها يبلغ 43000

نسمة أكبر من فرانكفورت. وقد منحت لمملكة فرنسا في صلح وستفاليا. وكان معظم التدريس في الجامعة لا يزال باللغة الألمانية.

ركّز غوته على دراسة القانون ولكنه وجد أيضًا وقتًا لتكوين عدد من المعارف الشخصية كان أهمّها عالم اللاهوت والفن والمنظر الأدبي يوهان غوتفريد هردر (1744-1803) الذي وصف غوته التعرّف إليه بـ«أهم حدث» في فترة ستراسبورغ.

وخلال زياراته شبه اليومية فتح هردر عيني غوته على الزخم اللغوي الأصلي لدى مؤلفين مثل هوميروس وشكسبير واسيان بالإضافة إلى الشعر الشعبي. وأعطى بذلك دفعات حاسمة لتطوّر غوته الشعري. وقد عيّن هردر لاحقا بتوصية من غوته في وظيفة في فايمار.

كما تضمّنت دائرة أصدقائه ومعارفه طبيب العيون والكاتب التقويّ يوهان هاينريش يونغ-ستيلينغ وعالم اللاهوت والكاتب ياكوب ميخائيل راينهولد لينتس. وعلى الرغم من أنه كان محاطا بأصدقاء من ذوي التوجّهات الدينية ابتعد غوته في ستراسبورغ نهائيا عن التقوى المسيحية.

عرّفه زميل جامعي إلى عائلة القسّ فريدريك بريون في سيسينهايم ونشأت علاقة عاطفية بين غوته وابنة القس فريدريكه أنهاها غوته بعد تركه جامعة ستراسبورغ برسالة أرسلها من فرانكفورت. ويشير كاتب السيرة نيكولاس بويل إلى صدمة فريدريكه من ترك غوته لها حيث كان كل سلوكه تجاهها يوحي بأنهما مخطوبان. وقد تلقى غوته نبأ انهيار صحتها بالانزعاج والشعور بالذنب.

عرفت القصائد الموجّهة إلى فريدريكه بـ«أغاني سيسينهايم» ومنها قصائد اللقاء والوداع وهايدروزلاين وأغنية مايو. لا يقدّم الشكل الشعري الخارجي في هذه القصائد شيئاً جديداً ولا يتجاوز التعبير اللغوي اللغة الشعرية المعتادة إلا في الفروق الدقيقة على الأكثر. مع ذلك تحمل فيها الـ «أنا» سمات فردية ولا تعتمد على «أنماط مسبقة» بل تظهر (الأنا المتكلّمة المحبوبة) والحب والطبيعة في كثافة لغوية غير معهودة.

في صيف عام 1771 قدّم غوته أطروحته القانونية (فقدت) حول العلاقة بين الدولة والكنيسة وقد قابلها اللاهوتيون في ستراسبورغ بسخط واعتبروها فاضحة. واتهم أحدهم غوته بأنه محتقر مجنون للدين وأوصى عميد الكلية غوته بسحب الرسالة. ومع ذلك منحته الجامعة الفرصة للحصول على الاجازة الجامعية عوضا عن الدكتوراه.

ومن أجلها احتاج فقط إلى إعداد عدد قليل من الأطروحات والدفاع عنها. احتوت هذه الأطروحات التي اجتاز الدفاع عنها بامتياز في 6 أغسطس 1771 على 56 أطروحة باللاتينية تحت عنوان «مواقف حقوقية». وفي الأطروحة قبل الأخيرة تناول مسألة ما إذا كان ينبغي أن تعاقب قاتلة الرضيع بعقوبة الإعدام وهي مسألة تناولها أدبياً في وقت لاحق في مأساة جريتشن في صيغة فاوست الأولى.

افتتح غوته في فرانكفورت مكتبا صغيراً للمحاماة اعتبره والده «مجرد محطة عبور» إلى المناصب العليا أسوة بالعمدة الجد وأداره لأربع سنوات إلى أن تضاءل حماسه للمهنة وغادر إلى فايمار. كان الشعر بالنسبة ل غوته أكثر أهمية من مهنة المحاماة.

وفي نهاية عام 1771 وفي غضون ستة أسابيع انتهى من كتابة (قصة غوتفريد فون برليشنغين صاحب القبضة الحديدية) التي نشرت عام 1773 بعد المراجعة بعنوان غوتس فون برليشينغن.

استقبل العمل الذي خالف جميع القواعد الدرامية التقليدية بحماس. ويعتبر وثيقة تأسيسية لحركة (العاصفة والاندفاع) الأدبية. أما الدراما التي تحمل اسم (العاصفة والاندفاع) فكاتبها فريدرش ماكسيميليان فون كلينغر الذي كان من أصدقاء غوته منذ الصغر.

في يناير 1772 شهد غوته مراسم إعدام قاتلة طفلها سوزانه مرغريتا براندت بحدّ السيف في فرانكفورت. وقد شكّل هذا الحدث وفقًا لروديجر سافرانسكي الخلفية الشخصية لـ «مأساة جريتشن» في *فاوست* التي بدأ غوته بالعمل عليها في أوائل سبعينيات القرن الثامن عشر.

في عام 1773 تزوّجت أخته كورنيليا من المحامي يوهان جورج شلوسر صديق غوته الذي يكبره بعشر سنوات الذي كان محامي الدفاع في محاكمة قاتلة الطفل.

خلال هذه السنوات تردّد غوته على حلقات تيّار (العاطفيين) الأدبي التي نشأت في دارمشتات حول يوهان هاينريش ميرك. وكان يقطع مسافة الـ25 كيلومترًا من فرانكفورت إلى دارمشتات على قدميه. وقد أولى غوته أهمية كبيرة لتقييمات ميرك وشهد في سيرته الذاتية على أنها كان لها «التأثير الأكبر» على حياته. وقد لبّى غوته دعوته إياه لكتابة مراجعات أدبية لمجلة فرانكفورتر غيليرته أنتسايغن التي كان يديرها ميرك وشلوسر.

وفي الفترة الواقعة بين صيغتي قصة غوتس عمل غوته في مايو 1772 بضغط من والده متدرّباً في محكمة الغدل الإمبراطورية في فيتسلار. وقد وصفه أحد زملائه من تلك الفترة بما يلي:

إنه يفعل ما يعجبه ويهمّه إذا كان يعجب الآخرين أو إذا كان موضة أو إذا كانت تسمح به الأعراف. وهو يكره أن يجبر على أي شيء... لقد صاغ عمله الأساسي من أجمل العلوم والفنون إلا تلك التي تطعم خبزا.

أولى غوته القليل من الاهتمام للدراسات القانونية ووجّه اهتمامه بدلاً من ذلك إلى المؤلفين القدماء. في إحدى الحفلات الريفية الراقصة تعرّف إلى شارلوت بوف التي كانت مخطوبة لزميله ووقع في حبها. بعدها أصبح غوته ضيفاً منتظماً ومرحّباً به في منزل عائلة بوف ولكن بعد أن أوضحت له شارلوت أنه لا يمكنه أن يأمل سوى بصداقتهما. أدرك غوته وضعه اليائس وفرّ من فيتسلار.

بعد عام ونصف تناول هذه التجربة وتجارب شخصية وغيرية في رواية آلام فيرتر التي كتبها في غضون أربعة أسابيع فقط في بداية عام 1774. وقد نال غوته شهرة في جميع أنحاء أوروبا خلال فترة زمنية قصيرة بسبب هذا العمل العاطفي للغاية الذي يجمع بين حركتي «العاصفة والاندفاع» و«الإحساسية» الأدبيتين.

وقد شرح غوته بنفسه لاحقاً نجاح الكتاب الهائل و (حمّى فيرتر) أو (عدوى الانتحار) التي أطلقها بأن الكتاب قد لبّى بالضبط احتياجات العصر.

وعن علاقة العمل بتجربة العشق الفاشلة التي مرّ بها يقول: «شعرت بالسعادة والحرية مرة أخرى وأن لي الحق بحياة جديدة». ومع ذلك فقد غوته العلاقة الودية مع زميله وشارلوته وواصلوا تبادل الرسائل.

عند عودته من فتسلار استقبله الأب بتوبيخ لأن إقامته هناك لم تكن مواتية لتقدّمه المهني. لكن غوته كان أكثر إنتاجيّة في حياته خلال هذه السنوات. فبالإضافة إلى فيرتر كتب التراتيل الكبرى (ومنها أغنية التجوّل في العاصفة وغانيماد وبروميثيوس وأغنية محمد). وكتب أيضا عدة قطع دراما قصيرة منها حفل السوق السنوي والآلهة والأبطال وفيلاند وعدد من الأعمال الدرامية مثل كلافيغو وستيلا. وفي تلك الفترة تناول غوته موضوع فاوست لأول مرة.

في عيد الفصح من عام 1775 ارتبط غوته بليلي شومان وهي ابنة مصرفي فرانكفورتي. ولكن الزواج لم يتمّ لعدم توافقه مع خطط غوته لحياته. كما أن اختلاف أوساط الوالدين وطوائفهما الدينية أضاف تعقيدات إلى القصة. وفي أكتوبر من نفس العام أعلنت عائلة ليلي عن فسخ الخطبة. وقد قال غوته في نهاية حياته لصديقه يوهان ايكرمان بأنها كانت أول من أحب بعمق وصدق وأنه رأى معها إمكانية زواج حقيقية لأول مرة.

في تلك الفترة قبل دعوة أصدقاء للسفر إلى سويسرا حيث أقام لعدة أشهر. وهناك تعرّف إلى باربرا شولتيس ونتج عن ذلك صداقة عمر حيث دعاها غوته «القارئ الأكثر ولاءً». وقد تلقت على فترات متقطعة المخطوطات النهائية لرواية «فيلهلم مايستر» التي كان غوته يعمل عليها ونسختها بمساعدة ابنتها. وإلى إحدى نسخها يرجع الفضل في اكتشاف الأجيال القادمة النسخة الأصلية من رواية غوته رسالة فلهلم مايستر المسرحية التي اكتشفت في عام 1909 وطبعت في العام التالي.

في الخدمة المدنية:

قبل غوته دعوة من الدوق كارل أغسطس البالغ من العمر 18 عاماً للسفر إلى فايمار فانتقل إليها في نوفمبر من عام 1775. كانت فايمار عاصمة دوقية ساكسونيا-فايمار-ايزناخ وكانت على الرغم من سكانها القليلين الـ 6000 (مقابل مجموع سكان الدوقية البالغ حوالي 100,000) فإنها كانت قد تطوّرت لتصبح مركزاً ثقافياً مهمّا وقبلة لرجال الأدب والعلم.

لم يكن هناك سبب محدّد لدعوة غوته لزيارة فايمار لكنه سرعان ما نال ثقة الدوق كارل أوجست المثقف الذي كان يصغره بثماني سنوات والذي أراد الاقتداء بصداقة فريدريك الأكبر مع فولتير بوضع روح عظيمة إلى جانبه. وبذل الدوق كل ما في وسعه لإبقاء غوته في فايمار. فقدّم إليه هدايا سخية منها المنزل الصيفي في حديقة إيلم. وفي النهاية اقترح عليه أن يشارك في إدارة الدولة وقبل غوته العرض بعد بعض التردد.

أصبح غوته في 11 يونيو 1776 مستشاراً قانونياً خاصاً وعضواً في المجلس الخاص وهو هيئة استشارية للدوق مكوّنة من ثلاثة رجال براتب سنوي قدره 1200 تالر. وظلّ عضواً في هذا المجلس حتى حلّه في عام 1815.

توقف نشاطه الأدبي في تلك الفترة. وقد أشار في رسالة كتبها في مايو 1780 إلى أنه قد أوقف كتاباته الأدبية ولكنه يسمح لنفسه أحياناً بممارسة موهبته بأن يعزف الناي لبضع ساعات كل يوم على غرار الملك العظيم.

كما ابتعد غوته عن أصدقائه السابقين من فترة حركة (العاصفة والاندفاع) الأدبية. وقد زاره لينز وكلينجر في فايمار عام 1776 وأقاما فيها لفترة طويلة وحصلا على دعم مالي من غوته. وفي النهاية طرد غوته لينز من الدوقية بعد إهانة لم توضح حتى يومنا هذا.

ابتداء من عام 1777 شمل نشاط غوته الرسمي تجديد مناجم تعدين إلميناو. وابتداء من عام 1779 ترأس لجنتين دائمتين هما لجنة بناء الطرق ولجنة الحرب المسؤولة عن التجنيد في جيش فايمار.

كان همّه الرئيسي إعادة هيكلة ميزانية الدولة المثقلة بالديون من خلال ترشيد الإنفاق العام مع تعزيز الاقتصاد في نفس الوقت وقد حقق نجاحاً جزئياً في ذلك. فعلى سبيل المثال أدّى خفض تعداد أفراد القوات المسلحة إلى النصف إلى تقليص مهمّ في المصروفات.

في عام 1784 تمكّن غوته من إقناع مجالس فايمار وويينا وأيزناخ بتحمّل ديون الدولة البالغة 130.000 تالر مقابل خفض الميزانية العسكرية السنوية.

من ناحية أخرى واجه غوته صعوبات وعقبات أفشلت مشاريعه وشعر بالإحباط حيث يشير في مذكراته عام 1779: «لا أحد يعرف ما أفعله وكم من الأعداء أواجه من أجل مردود قليل».

كانت اللجان الفورية التي أنشئت بين عامي 1776-1783 أداة غوته الرئيسية لتنفيذ مشاريع الإصلاح لعجز تركيبة السلطة الجامدة على القيام بها. ومع ذلك تمكنت الطبقة الأرستقراطية في الدوقية من إعاقة جهود غوته

الإصلاحية في الثمانينيات. وباءت مبادرته لإحياء صناعة تعدين النحاس والفضة في إلميناو بالفشل وأوقفت أخيرًا في عام 1812.

رافق غوته الدوق في سفره وتعرّف عن قرب على الدوقية والأحوال فيها. ومن بين الأماكن التي زارها بلدة أبلدا التي وصف حالة البوس فيها في إحدى رسائله.

كما قام غوته في عقده الأول في فايمار بعدة رحلات خارج حدود الدوقية كان معظمها بتكليف رسمي. فسافر إلى ديساو وبرلين في ربيع عام 1778 وإلى سويسرا من سبتمبر عام 1779 إلى يناير عام 1780. كما سافر عدة مرات إلى جبال هارتس في الأعوام 1777-1783-1784 وترقّى في 5 سبتمبر من عام 1779 إلى درجة مستشار خاص.

دفعت أنشطة غوته في إلميناو ومكافحته الفساد الدوق إلى أن يطلب في يونيو من عام 1782 التعرّف على أعمال إدارة الخزينة الملكية. نقل إلى غوته صلاحيات رئيس الخزنة الذي أقيل قبل ذلك بأيام وإن لم يمنحه اللقب الرسمي. لذلك كان على غوته أن يشارك في اجتماعات الخزينة وأن يكون على علم بجميع المعاملات التجارية غير العادية. كما عُيّن في نفس العام مشرفاً في جامعة يينا.

بناء على طلب الدوق رفع غوته في 3 يونيو من عام 1782 بأمر إمبراطوري إلى درجة النبلاء. وقد هدفت هذه الترقية إلى تسهيل عمله في البلاط وفي إدارة شؤون الدوقية.

بلغ غوته في سن 33 ذروة نجاحه وكان بعد الدوق أقوى رجل في فايمار. وقد تعرّض للانتقاد بسبب عمله مع الدوق ووصفه البعض بـ«خادم الأمير» و«شاعر الطاغية».

اختلفت الأدبيات في تقييم عمل غوته في مجلس الدوق. اعتبره بعض الكتاب سياسيا إصلاحيا تنويريا شملت جهوده العمل على تحرير الفلاحين من الضرائب الخانقة. في حين أشار آخرون إلى أنه قد أيّد في موقعه الرسمي تجنيد الأطفال الإجباري في الجيش البروسي وإجراءات تقييد حرية التعبير.

في عام 1783 صوَّت غوته لصالح إعدام الأم غير المتزوجة جوهانا كاثرينا هون التي قتلت طفلها حديث الولادة بدافع اليأس وهو موقف مناقض للتفهم والتعاطف الذي عبّر عنه لاحقاً في مأساة جريتشن.

غوته والماسونية:

أشار المستشار (يوهان يواكيم كريستوف بود) إلى اهتمام غوته بمحفل فايمار الماسوني «أماليا». وبذل غوته في رحلته الثانية إلى سويسرا جهوده الأولى للانضمام. قبل غوته في الماسونية في 23 يونيو من عام 1780 وتدرّج في المراتب ليصبح «مساعد بنّاء» في عام 1781. ثم رقي إلى مرتبة «بنّاء» في عام 1782 هو والدوق كارل أغسطس.

بين الشعر ودراسة الطبيعة:

لم ينشر غوته في عقده الأول في فايمار سوى عدد قليل من القصائد المتناثرة في المجلات. ولم يترك له العمل اليومي سوى القليل من الوقت للقيام بنشاط شعري جاد خاصة أنه كان مسؤولاً أيضاً عن تنظيم مهرجانات البلاط وتزويد مسرح الهواة بالمسرحيات والعروض الغنائية.

في تلك الفترة تمكّن من الانتهاء من صيغة إفيغينيه في تاورس النثرية الأولى. كما بدأ كتابة إغمونت و توركواتو تاسو وليلهيلم مايستر وبعض أشهر قصائده مثل قصائد الحبّ التي كتبها لشارلوت فون شتاين وقصائد ملك العفاريت وأغنية متجوّل الليل وحدود الإنسانية والإلهية.

حوالي عام 1780 بدأ غوته في التعامل بصورة منهجية مع الأسئلة العلمية. وقد عزا ذلك لاحقا إلى مهنته الرسمية في مسائل التعدين والزراعة وصناعة الأخشاب وما إلى ذلك. كانت اهتماماته الرئيسية في البداية هي الجيولوجيا وعلم المعادن وعلم النبات وعلم العظام (في اكتشاف تصنيف عظمة قادمة الفك العلوي عند البشر). في نفس العام كتب مقالته عن الغرانيت وكان يخطّط لكتاب بعنوان «رواية الأرض».

العلاقة مع شارلوته فون شتاين:

كانت علاقة غوته الأهمّ والأكثر تكوينًا خلال عقد فايمار هي العلاقة مع سيدة البلاط شارلوت فون شتاين (1742-1827) التي كانت تكبره بسبع سنوات ومتزوجة من البارون يوسياس فون شتاين رئيس الإسطبلات الملكية. وكان عندها ثلاثة أطفال عندما تعرّف غوته إليها.

كانت الرسائل والملاحظات والقصاصات الورقية التي كتب إليها قد بلغ عددها الى 1770. هذه المجموعة والقصائد الكثيرة التي كتبها غوته إليها تشير إلى علاقة وثيقة بشكل غير عادي بين الاثنين (رسائل شارلوته شتاين فقدت).

يتضح من هذه الكتابات أن الحبيبة قد لعبت دور المربية إذ علّمته قواعد اللياقة في البلاط وخففت من قلقه الداخلي وعززت انضباطه الذاتي. من جانب آخر لا يمكن الجزم حول كون العلاقة جنسية أو صداقة روحية خالصة كما يفترض معظم المؤرخين.

يميل معظم المؤرخين إلى أطروحة المحلّل النفسي كورت إيسلر التي تقول بأن غوته قد مارس أول اتصال جنسيّ له عندما كان عمره 39 سنة في روما. وتشير سيرته الذاتية التي كتبها نيكولاس بويل أيضًا إلى أن قصة الحبّ التي عاشها مع فاوستينا في روما هي أول اتصال جنسيّ موثّق.

تعرّضت علاقة غوته مع شارلوته إلى هزة إثر رحيله السرّيّ إلى إيطاليا في عام 1786 والتي أدّت إلى انقطاع نهائيّ بعد عودته بسبب قصّة حبّ غوته الراسخة مع كريستيانه فولبيوس زوجته المستقبلية. رأت شارلوته - التي كانت حياتها وصورتها الذاتية قائمة على إنكار الشهوات – علاقات غوته خيانة لها وطلبت منه ردّ رسائلها إليه.

لم يتصالح الاثنان قبل سنّ الشيخوخة ولم تستعد علاقتهما الدفء السابق. وقد ساعد في هذه المصالحة تردّد ابن غوته الصغير أغسطس على منزل عائلة فون شتاين. واستؤنفت المراسلات ابتداءا من عام 1794 وظلّت بصيغة المخاطبة الرسمية.

وقع غوته في أزمة شخصية في منتصف عقد ثمانينيات القرن الثامن عشر وهو في ذروة حياته المهنية. ظلّت أنشطته الرسمية غير ناجحة وأصبحت أعباء مناصبه وقيود الحياة مصدر إزعاج له. وكذلك لم تعد علاقته مع شارلوته مرضية بالنسبة له. وعندما عرض عليه في عام 1876 أحد الناشرين طباعة أعماله الكاملة تبيّن لغوته أنه لم ينشر أيّ شيء جديد في الأعوام الماضية.

وبالنظر إلى مشاريعه الشعرية التي لم تكن قد اكتملت بعد (فاوست وإيغمونت وفيلهلم مايستر وتاسو) زادت شكوكه الذاتية حول وجوده المزدوج بصفته رجل دولة وأديب. وقد تناول غوته هذه الشخصية المزدوجة في مسرحية توركواتو تاسو حيث قسّمها إلى شخصيتين متناحرتين تاسو وأنطونيو. لم يثق غوته في التوازن الشعري بين البعدين وحاول الحفاظ على هذا التوازن.

رحلة إلى إيطاليا (1786-1788):

انسحب غوته من البلاط وسافر في رحلة تعليمية إلى إيطاليا التي فاجأت من حوله. في 3 سبتمبر 1786 قطع رحلة نقاهة في منتجع كارلزباد دون أن يودّع أو يعلم أحدا سوى سكرتيرته الخاصة.

من هناك كتب إلى الدوق يطلب إجازة إلى أجل غير مسمّى وأعلن في اليوم السابق على مغادرته عن نيته السفر دون الكشف عن وجهته. ويعتقد أن هذه السرّية كانت جزءً من خطة تمكّن غوته من ترك مناصبه مع الاحتفاظ

براتبه لبعض الوقت. ولكي يتمكّن غوته من التنقل بحرية في الأماكن العامة سافر متخفيا تحت اسم يوهان فيليب مولر.

في نوفمبر عام 1786 وصل غوته الى روما مارّا بكل من فيرونا وفيتشنزا والبندقية ومكث هناك حتى فبراير من عام 1787. ثم سافر منها إلى نابولي وصقلية في رحلة دامت أربعة أشهر. وعاد إليها في يونيو من عام 1787 ومكث حتى نهاية أبريل 1788. في طريق العودة توقف في سيينا وفلورنسا وبارما وميلانو وغيرها وعاد في يونيو 1788 إلى فايمار.

في روما عاش غوته مع الرسّام الألماني فيلهلم تيشباين الذي رسم (لوحة غوته في الريف) وكان على تواصل حيوي مع فنانين ألمان آخرين مقيمين في روما منهم انجيليكا كوفمان التي رسمتها وجاكوب فيليب هاكيرت وفريدريك بيري مع الرسّام السويسري يوهان هاينريش ماير الذي تبعه لاحقاً إلى فايمار وعمل معه مستشارا فنيا.

كما كان على علاقة ودّية مع الكاتب كارل فيليب موريتز. وقد طالت محادثاته مع موريتز عن الآراء الفنية النظرية التي أصبحت أساسية لمفهومه الكلاسيكي للفن والتي وضعها موريتز في مؤلفه «عن الاقتداء التعليمي بالجمال».

في إيطاليا تعرّف غوته على فن العمارة والأعمال الفنية في العصور القديمة وعصر النهضة وأبدى إعجابه بها وكان مخلصاً بشكل خاص لرافائيل والمهندس المعماري اندريا بالاديو.

وبتوجيه من أصدقائه الفنانين مارس غوته الرسم بطموح كبير وما زال حوالي 850 رسماً لغوته من الفترة الإيطالية محفوظة إلى اليوم. وشغل نفسه بشكل مكثف بإكمال الأعمال الأدبية: فاستكمل قصة إيفيجني في تاوروس التي كانت ما تزال في صيغتها النثرية وحوّلها إلى شعر. وأكمل إيغمونت التي كان قد بدأها قبل اثني عشر عاماً وواصل كتابة تاسو وكذلك دراساته في علم النباتات. وقد مكّنه التخفي من التحرّك بحرية في أوساط اجتماعية مختلفة والاستمتاع باللعب والاحتفالات والخوض في تجارب جنسية.

كانت هذه الرحلة حاسمة بالنسبة لغوته من منظور رؤيته لنفسه ودوره في الحياة. وكتب إلى دوق فايمار أنه اكتشف الفنان في داخله وأعلمه برغبته بالتحرّر من واجباته السابقة وبأن يفعل «ما لا يستطيع أحد سواي فعله وتكليف آخرين بالباقي». وقد منحه الدوق التمديد المطلوب لإجازته المدفوعة حتى يتمكن من البقاء في روما حتى عيد الفصح في عام 1788.

واستنادًا إلى مذكّراته كتب (رحلة إيطالية) بين عامي 1813 و1817.
و (مرحلة كلاسيكية فايمار) ابتداء من عام 1789.

العلاقة مع كريستيانه فولبيوس (1788-1816):

في عام 1788 تعرّف (بعد أسابيع قليلة من عودته إلى فايمر) إلى الخيّاطة كريستيانه فولبيوس البالغة من العمر 23 عامًا. وكانت قد حضرت إليه بالتماس لمساعدة شقيقها طالب القانون. ونشات بينهما علاقة حميمة وأصبحت شريكة حياته الى عام 1816 دون أن يتزوّجها.

أطلقت عليها والدة غوته تهكّماً نعت «كنز السرير» في إشارة إلى التلميحات الجنسية في المرثيات الرومانية التي كتبها غوته في تلك الفترة. وقد اندمجت فيها شخصية عشيقته الرومانية فوستينا مع كريستيانه. وصفت الباحثة (سيغريد دام) الزوجين بأنهما حسّيان وغارقان في الحب والخيال.

عندما كانت كريستيان حاملًا في الأشهر الأخيرة أراد غوته اصطحابها إلى المنزل الذي قدّمه له الدوق في البلدة. ولكن بناءً على طلب الدوق ومراعاة لمجتمع فايمار انتقل غوته معها إلى شقة خارج بوّابات المدينة.

لم يعترف غوته رسميا بأبوّته لطفلهما أغسطس والتر الذي ولد في الخامس والعشرين من ديسمبر عام 1789. لم يسجّل الطفل ولم يُدرج على أنه غير شرعي.

ولد لهما أربعة أطفال آخرون توفوا جميعا بعد الولادة بأيام قليلة. في عام 1792 سمح لهما الدوق بالانتقال إلى المنزل الواقع في داخل البلدة الذي كان بإمكان غوته وكريستيان العيش فيه بدون إيجار. ولاحقاً نقل الدوق ملكيته إلى غوته في عام 1794 امتناناً لمرافقته له في حملات حروب الأعوام 1792-1793 ضد فرنسا.

ظلت كريستيانه المتدنية التعليم والقادمة من عائلة فقيرة محرومة من الدخول في مجتمع فايمر الذي كان غوته جزءاً منه. وزاد من تعقيد الموضوع أنها لم تكن على علاقة شرعية به.

تمسّك بها غوته بصفتها عشيقة ولم يتزوجها حتى عام 1806 بعد أن أنقذته بتدخلها الشجاع من خطر قاتل عندما أوشك جنود فرنسيون على نهب

منزله في فايمار عشية معركة يينا. وقد نقش غوته تاريخ هذه الليلة على خاتم الزواج.

المهام الرسمية في فايمار:

بعد عودته من إيطاليا أعفاه الدوق من معظم مهامّه الرسمية ولكنه احتفظ بمقعده في المجلس وبالتالي بإمكانية التأثير السياسي. وتولّى بصفته (وزيرا بلا حقيبة) عدداً من المهام الثقافية والعلمية منها إدارة مدرسة الرسم والإشراف على الأشغال العامة.

كما كلّف بإدارة مسرح بلاط فايمار وهي مهمّة استغرقت الكثير من وقته إذ كان مسؤولاً عن كل التفاصيل. بالإضافة إلى ذلك عمل غوته بصفة استشارية في شؤون جامعة يينا التي جذبت بفضل دعوته عددًا من الأساتذة المعروفين. في عام 1807 كلّف غوته بالإشراف على الجامعة وعمل في المقام الأول من أجل توسيع كلية العلوم الطبيعية.

في عيد ميلاده الأربعين صدرت أعماله الكاملة في ثمانية مجلّدات من دار نشر غوشن. وسافر عام 1790 مجدّدا إلى إيطاليا حيث أمضى عدة أشهر في البندقية. ثم رافق والدة الدوق إلى فايمار في رحلة مرّت في فيشنتسا وفيرونا ومانتوا. وفي هذه الرحلة كتب (حكم من البندقية) وهي مجموعة من القصائد الساخرة عن الظروف الأوروبية «تجاوزت حدود التسامح الجمالي والأخلاقي في ذلك الوقت».

في المقطع الرابع يشعر غوته بأنه خدع من قبل أصحاب الحانة ويفتقد الصدق الألماني ويشتكي: البلد جميل لكن أوه! لن أجد فاوستينا مرة أخرى. ويتوق بدلاً من ذلك إلى كريستيانه (حبه) الذي تركه في فايمر.

مديرا لمسرح فايمار (1776-1817):

في عام 1776 عُهد إلى غوته بإدارة عروض مسرح الهواة في بلاط فايمار. وكان المزاج السائد آنذاك تفضيل الدراما الفرنسية والأوبرا الإيطالية. كان الممثلون في مسرح فايمار من الأرستقراطيين والبورجوازيين العاديين أو أعضاء في البلاط بما في ذلك الدوق كارل أوجست وغوته نفسه. وكانت العروض تجري في أماكن مختلفة.

كانت الممثلة والمغنية كورونا شروتر التي استقدمها غوته من لايبزيغ أول ممثلة محترفة في فايمار وأدّت عام 1779 مسرحية إيفيغينيا التي كانت النسخة النثرية من إيفيغينية في تاوروس. وفي هذا العرض مثل غوته دور أوريستيس والدوق كارل أوغست دور بيلادس. وفي نفس العام وقع لأول مرة عقدا مع فرقة مسرح محترفة.

في عام 1791 قرّر الدوق كارل أغسطس تأسيس مسرح بلاط فايمر وولّى غوته إدارته. وخلال السنوات الـ 26 التي عمل فيها مخرجاً جعل غوته مسرح فايمار واحدا من المسارح الألمانية الرائدة وفيه عرضت أيضا أعمال غوته المتعددة. وشهدت لاحقا عروض أعمال شيلر الدرامية مثل ثلاثية فالنشتاين وماريا ستيوارت وعروس مسينا وفلهلم تل الأولى. كذلك حوّل شيلر تراجيديا غوته ايغمونت إلى مسرحية عرضت على مسرح فايمار.

أعطى الدوق غوته حرية التصرف في إدارة المسرح. وهو ما فعله غوته بنهج أبويّ إلى حد ما مع الممثلين والممثلات. وظل غوته في قيادة مسرح فايمر حتى عام 1817 عندما انسحب بعد خلاف مع الممثلة والمغنية القديرة كارولين ياغمان التي كانت تعمل في المسرح منذ عام 1797 والتي قاومت أسلوبه الاستبدادي في القيادة.

غوته والثورة الفرنسية:

في عام 1789 هزت الثورة الفرنسية نظم الحكم في الدول الأوروبية وكانت الثورة موضع إعجاب معظم معاصري غوته الفكريين من أمثال فيلاند وهيردر وهولدرلين وهيجل وجورج فورستر وبيتهوفن الذين كانوا متحمّسين لمُثل الحرية والإخاء التي انبثقت عنها. أما غوته فعارض الثورة منذ البداية واعتبرها (أفظع الأحداث) ما عزز تصويره لدى البعض بصفته «خادماً للأمير».

مال غوته إلى الإصلاحات التدريجية بروح التنوير وشعر بالنفور من الثورة بسبب التجاوزات العنيفة التي تلتها. في وقت لاحق قال في حديث مع إيكرمان: إن الانتفاضات الثورية للطبقات الدنيا هي نتيجة لمظالم الكبار.

في عام 1792 رافق غوته الدوق في حرب التحالف الأولى ضد فرنسا الثورية. ولثلاثة أشهر شاهد بؤس وعنف هذه الحرب التي انتهت بانتصار فرنسيّ وهي تجربة لخصها في منشور «الحملة في فرنسا».

وبعد إقامة قصيرة في فايمار عاد في صيف عام 1793إلى الجبهة ليرافق الدوق في حصار ماينتس التي استعادها تحالف القوات البروسية النمساوية من اليعاقبة الألمان المتحالفين مع الجمهورية الفرنسية بعد ثلاثة أشهر من الحصار والقصف.

في عام 1796 انضمّت الدوقية إلى معاهدة السلام الفرنسية البروسية في بازل. وكانت سنوات السلام العشر التي أعقبتها فترة ازدهار فايمر الكلاسيكية في خضمّ أوروبا التي مزقتها الحرب.

الثورة الفرنسية في شعر غوته:

لاحقاً أشار غوته إلى أنه احتاج لسنوات عدة وكثير من الجهد لمعالجة ما جرى شعريا من جذوره. ووفقًا لروديجر سافرانسكي عاش غوته الثورة بصفتها حدثا أوليّا مثل اندلاع بركاني للحدث الاجتماعي والسياسي. ولم يكن من قبيل الصدفة أنه انشغل بدراسة ظاهرة البراكين الطبيعية في الأشهر التي تلت الثورة.

وتحت تأثير أحداث الثورة كتب غوته في مطلع التسعينيات عددًا من الكوميديات الساخرة التي كانت مناهضة للثورة وللاستبداد في نفس الوقت. فنشر عام 1791 «جنرال المواطنين» وهي مسرحية من فصل واحد وكانت أولى مسرحياته التي تناولت الثورة.

وعلى الرغم من كونها واحدة من أنجح مسرحياته وعرضت على مسرح فايمار أكثر من مسرحيتي تاسو وايفيعيني إلا أنه ابتعد عنها لاحقاً ولم يُدرجها في مجموعة أعماله الجديدة التي ظهرت في سبع مجلدات في الفترة

الواقعة بين 1792 إلى 1800. وكتب أيضًا (كوفتا الكبير) والأجزاء الأولى من «الغاضبون».

كما يشير العمل الشعري «ثعلب راينكه» إلى تجارب غوته في تلك السنوات. كان العمل عبارة عن قصص بلسان الحيوانات تدور أحداثها في أواخر العصور الوسطى وتعكس قسوة وأكاذيب وحقد الناس في مملكة الحيوان. وقد كتبه في الأعوام 1792 و1793 وواصل العمل عليه بينما كان لا يزال مع الجيش في حصار ماينز عام 1793.

كما شكّلت الأحداث الثورية أيضا خلفيّة المجموعة القصصية «محادثات المهاجرين الألمان» التي كتبها غوته عام 1795. وفيها ناقَش الثورة في إطار الحبكة التي تدور حول لاجئين أرستقراطيين فرّوا من الثورة الفرنسية إلى ضفة نهر الراين الغربية يحاولون التسرية عن أنفسهم بسرد قصص في تقليد الرواية القصيرة الرومانية (جيوفاني بوكاتشيو). وكذلك في الملحمة الشعرية هيرمان ودوروتيه (1797) التي حظيت بشعبية واسعة. وفيها يتناول غوته مباشرة عواقب الثورة الفرنسية ومصير الناطقين بالألمانية على ضفة الراين الشرقية.

أبحاثه في علم النباتات:

في السنوات التي تلت عودته من إيطاليا كان غوته مهتمًا بشكل أساسي بأبحاث الطبيعة. في عام 1790 نشر محاولته لشرح تحوّلات النباتات وهي دراسة من 86 صفحة قوبلت باهتمام ضئيل خلال حياة غوته ولكنها جعلته لاحقا أحد مؤسّسي علم التشكل المقارن.

وفي «القصيدة التعليمية حول تحوّلات النباتات» التي كتبها عام 1798 جمع غوته بين الشعر والبحث الطبيعي حيث كانت هذه القصيدة موجّهة إلى المحبوبة (كريستيان فولبيوس) وتقدّم تعاليمه التشكّلية في صورة مكثفة. في تسعينيات القرن الثامن عشر بدأ غوته أيضًا بحثه حول نظرية الألوان التي انشغل بها حتى نهاية حياته.

المرثيات الرومانية:

في أوائل تسعينيات القرن الثامن عشر نشر غوته المرثيات الرومانية وهي مجموعة من القصائد المثيرة للإعجاب والتي كتبها بعد فترة وجيزة من عودته من روما. وهي مكتوبة بأسلوب الشعر القديم وتندمج فيها ذكرى التجارب الثقافية والعاطفية في روما مع حبّه الحسّي والسعيد لكريستيانه فولبيوس. وقد نشرت عشرون من القصائد الأربع والعشرين في مجلة شيلر دي هورين عام 1795.

غوته وشيلر:

كان كل من غوته وشيلر على اطلاع على أعمال الآخر قبل أن يلتقيا شخصياً لأول مرة في خريف عام 1788 في رودولشتات. فقد قرأ شيلر على الأقل غوتس فون بيريشنغن وآلام فيرتر عندما كان طالباً في مدرسة كارل في شتوتغارت. ورأى غوته مرة واقفا إلى جانب الدوق كارل اويغن بصفته زائراً مع دوق فايمار لحفل تخرّج فصله في عام 1780. في المقابل قرأ غوته مسرحية شيلر (اللصوص) ولم يعجبه كمّ العنف فيها. وعندما عاد من إيطاليا أدهشته الشهرة المتزايدة التي كان يحظى بها شيلر آنذاك. ولاحقا صار غوته يقدّر شعر شيلر الفلسفي وكتاباته التاريخية.

تغيّرت أحكام شيلر ومشاعره تجاه غوته بسرعة في البداية فوصفه عدة مرات بأنه «أناني بارد». وتشير رسالة له إلى كريستيان كورنر إلى مشاعر متناقضة تجاه غوته: (أنا أكرهه...على الرغم من أنني أحبّ روحه من كل قلبي). لاحقا وجد شيلر الصيغة الملائمة في رسالة إلى غوته في 2 يوليو 1796): «لا حرية في مواجهة الممتاز إلا الحب».

حصل اللقاء الشخصيّ الأول في رودولشتات بترتيب من شارلوت فون لينجفيلد التي أصبحت فيما بعد زوجة شيلر. ولم يكن هذا اللقاء حارّاً وقد عبّر شيلر في رسالة إلى كورنر عن شكه «فيما إذا كنا سنقترب كثيراً من بعضنا البعض». بعد هذا اللقاء عيّن غوته شيلر في منصب أستاذية في جامعة يينا بدون أجر في البداية.

عمل شيلر أستاذاً للتاريخ في جامعة يينا ابتداء من العام 1789. وفي يونيو 1794 إنضمّ إلى فريق تحرير مجلة الثقافة والفن التي كان غوته ينوي تأسيسها. بعد موافقة غوته تواصلت اللقاءات بين الاثنين وكانت بمثابة تبادل مكثف للأفكار بينهما.

اتفق الشاعران في رفضهما للثورة وكذلك في توجّهما للعصور القديمة باعتبارها أعلى مثال فني. كانت هذه بداية تحالف عمل مكثف استبعدت منه كل الاعتبارات الشخصية ولكنه تميّز في نفس الوقت بفهم عميق لطبيعة وطريقة عمل الآخر.

في المناقشة المشتركة للأسئلة الجمالية الأساسية طوّر كلاهما مفهوم الأدب والفن الذي سيصبح «كلاسيكية فايمار» للإشارة إلى الحقبة التاريخية

الأدبية. وأخرج كل منهما الآخر من مرحلة ركود في عمله الأدبي. ويشير غوته إلى التأثير المحفز للعمل مع شاب يصغره بعشر سنوات: «لقد أعطيتني شباباً ثانياً وجعلتني شاعراً من جديد».

في السنة الأولى من مجلة دي هورن *ظهرت* المرثيات الرومانية لأول مرة تحت عنوان «*مرثيات*». وبدون تسمية المؤلف تسبّب نشرها بسخط «جميع النساء المحترمات» في فايمار. ودفع أيضا هردر إلى أن يقترح ساخرا كتابة اسم المجلة بحيث يعني «المومسات».

في الأعوام 1795-1796 نشر شيلر في المجلة أطروحته (عن الشعر الحسّاس والشعر الفطري) في ثلاث حلقات وهو تصنيف شعري ساهم بشكل كبير في صورتيهما الذاتيتين: غوته الفطري وشيلر العاطفي.

لعب الشاعران دوراً نظرياً وعملياً في أعمال بعضهما البعض. وهكذا أثر غوته على ثلاثية شيلر المسرحية فالنشتاين بينما واصل شيلر بصورة نقدية العمل في رواية غوته (سنوات تعلّم فيلهلم مايستر) وشجّع غوته على مواصلة *فاوست*. ويعتبر بعض الكتاب المراسلات حول فيلهلم مايستر في الأعوام 1789-1796 ذروة العلاقة الفكرية بين غوته وشيلر.

في عام 1797 نشر غوته وشيلر مجموعة مشتركة من القصائد الساخرة بعنوان هدايا المائدة. وفي العام التالي ظهرت قصصهما الأكثر شهرة مثل:

*صبي الساحر ودافن الكنز وعروس كورينت والرب والباجادير لغوته.
*والغطاس ورانيق إبيكوس وخاتم بوليكراتس والقفاز والفارس توغنبورغ لشيلر.

شكّلت وفاة شيلر المفاجئة في 9 مايو 1805 ضربة لغوته أصابته بما يشبه الخدر. لم يحضر غوته الجنازة وكتب إلى صديقه الموسيقيّ كارل فريدريش تسيلتر أنه فقد صديقاً ومعه «نصف وجودي».

كانت وفاة شيلر بمثابة نقطة تحوّل في حياة غوته واعتبرها «وداعاً لذلك العصر الذهبي حيث لم يكن الفن لفترة قصيرة من أجمل الأشياء فحسب بل كان أيضاً أحد أهمّ الأشياء في الحياة» وانتهت معها الفترة التكوينية لكلاسيكية فايمار.

حياته المتأخرة (1805-1832):

بالإضافة إلى الخسارة الفادحة التي تعرّض لها غوته بوفاة شيلر عام 1805 عانى غوته من أمراض مختلفة (هربس نطاقي أو الحمرة في الوجه منذ عام 1801 ومغص الكلى ونوبات قلبية). كما كان قلقاً بشأن الوضع السياسي مع الحرب التي كانت في الأفق مع نابليون بونابرت حيث تصوّر نفسه يتجوّل في ألمانيا مع دوقه يتسوّل ويطلب اللجوء. ومع ذلك تميزت العقود الأخيرة من حياته بالإنتاجية الكبيرة وتجارب حبّ قوية.

أعماله الأخيرة ونظرية الألوان:

استأنف غوته عمله في كتابه (فاوست) بُعيد وفاة شيلر وساعد في ذلك ضغط من دار النشر الذي كان من المقرّر أن ينشر النسخة كاملة من جزء فاوست الأول في مجلّدات أعماله الكاملة الثمانية لعام 1808.

لم يمنع غوته زواجه من كريستيانه من إظهار عواطفه تجاه مينا هرتسليب بنت الثامنة عشرة التي كانت ابنة بائع كتب في يينا. يحلّل البعض أن هذا الافتتان قد قدّمه غوته على أنه بديل عن خسارة شيلر المؤلمة.

ويمكن العثور على صدى مشاعره في ذلك الوقت في روايته الأخيرة (التجاذب الاختياري) في عام 1809 التي جمع فيها بين الشعر والبحث الطبيعي.

تمّ استخدام مصطلح (الألفة الكيميائية) للعناصر الدارجة في الكيمياء المعاصرة والذي تبناه غوته لمعالجة طبيعة الجذب التي لا يمكن السيطرة عليها بالعقل بين اثنين.

في يناير من عام 1811 بدأ غوته كتابة سيرته الذاتية الرئيسية التي سيطلق عليها لاحقاً اسم (من حياتي: الشعر والحقيقة). وقد ساعدته في البداية بيتينا فون أرنيم التي احتفظت بسجلات قصص والدته عن طفولة غوته وشبابه ولكنه سرعان ما انفصل عنها بعد مشادة بينها وبين زوجته كرستيانه.

ظهرت الأجزاء الثلاثة الأولى من السيرة الذاتية بين عامي 1811-1814. ولم يظهر الجزء الرابع إلا بعد وفاته عام 1832.

غوته ونابليون:

ظلّ غوته معجبا بنابليون حتى نهاية حياته وكان يراه واحداً من أكثر الأشخاص إنتاجية على الإطلاق وكانت حياته خطوة لأنصاف الآلهة من معركة إلى معركة ومن نصر إلى نصر.

التقى غوته بنابليون مرتين في عام 1808. وقد جرى اللقاء الأول في 2 أبريل حين دعي وكريستوف مارتن فيلاند إلى لقاء خاص مع الإمبراطور على هامش مؤتمر الأمراء في ارفورت عبّر فيه نابليون عن تقديره له ولرواية آلام فيرتر.

أما اللقاء الثاني فكان أيضا بمعيّة فيلاند في 6 أكتوبر في فايمار بمناسبة حفل في البلاط الملكي نال فيه كلّ منهما وسام جوقة الشرف الفرنسي. كما منحهما القيصر ألكسندر الأول (الذي كان حاضراً أيضاً في مؤتمر إرفورت) وسام القديسة أنا.

وقد أزعج غوته معاصريه (وكذلك الدوق كارل أغسطس) بمواصلته ارتدائه وسام جوقة الشرف (الذي أهداه نابليون) حتى في وقت الصحوة الوطنية ضد الحكم النابليوني في ألمانيا. وفي عام 1813 قال في محادثة: (بإمكانكم فقط هزّ السلاسل. فهذا الرجل أكبر من أن تكسروها).

بعد وفاة نابليون في 5 مايو 1821 في سانت هيلانة كتب الشاعر الإيطالي الساندرو مانزوني مرثية بعنوان «الخامس من مايو» وقد أعجب بها غوته إلى درجة أنه ترجمها على الفور إلى الألمانية في قصيدة بنفس المستوى.

غوته وبيتهوفن:

قبل لقاء غوته ببيتهوفن عام 1812 في منتجع تبليتسه في بوهيميا كان بيتهوفن قد لحّن عدة قصائد وأغان من أشعار غوته كما ألّف عام 1810 افتتاحية مأساة «إيغمونت» بتكليف من البلاط الملكي في فيينا التي تعدّ

إجلالا لبطل مسرحية غوته باعتباره مثالاً للإنسان البطل وقد أرسل بيتهوفن نوطات العمل إلى غوته باحترام كبير.

جرت عدة لقاءات في تبليتسه وأعجب غوته ببيتهوفن الذي قدّم أيضًا عزفًا على البيانو. في مساء أول لقاء كتب غوته لزوجته: «لم أرَ قط فناناً أكثر تركيزاً ونشاطاً وحميمية».

وكتب إلى تسيلتر: «أنا مندهش من موهبة بيتهوفن. لكنه للأسف شخصية جامحة تماماً وهو ليس مخطئاً على الإطلاق عندما يرى العالم بغيضاً وبذلك لا يجعله أكثر إمتاعاً لنفسه أو للآخرين».

ولم يكن بيتهوفن أقلّ انتقاداً إذ كتب بعد هذا اللقاء إلى ناشره غوتفريد هيرتل: «إن غوته يحبّ هواء القصور أكثر بكثير مما ينبغي لشاعر». تبادل الاثنان لاحقا الرسائل ولكنها ظلت ذات طابع رسمي.

ديوان الغرب والشرق:

بدأ اهتمام غوته بالمشرق في مرحلة ستراسبورغ بتأثير من صديقه هردر. وفي تلك الفترة قرأ غوته القرآن في ترجمة ماراسيوس اللاتينية وترجم بعض الآيات إلى الألمانية (الآيات 74-79 من سورة الأنعام).

كما اطلع على الأشعار والملاحم العربية وأعجب بشدة بالشعر الفارسي لحافظ شيرازي وأصدر ترجمة جديدة لديوانه. وقرأ ديوان الشاعر الفارسي حافظ شيرازي في ترجمة المستشرق النمساوي يوزيف فون هامر بورغشتال.

كما تأثر بأبي تمام والمعلقات السبع فترجم بعضها إلى اللغة الألمانية عام 1783 بمساعدة هردر مثل معلقة امرئ القيس التي ترجم منها 61 بيتا. وقرأ لفحول الشعراء من أمثال امرئ القيس وطرفة بن العبد وعنترة بن شداد وزهير بن أبي سلمى وغيرهم.

وشرع أيضا في تلك الفترة بكتابة مسرحية عن النبي محمد ص والتي لم تكتمل. كما تأثر بعدد من الشعراء مثل المتنبي الذي تظهر بعض ملامح أشعاره في رواية فاوست.

احتفظ غوته بمسافة من الثورة الوطنية ضد الحكم الفرنسي. وانصرف في تلك الفترة إلى دراسة المشرق فتعلّم بعض العربية والفارسية.

وقد وضعته هذه الدراسات الشرقية في حالة «ابتهاج إبداعي» أشار إليه لاحقًا باسم «المراهقة المتكررة». فكتب الكثير من القصائد بنبرة حافظ المرحة والخفيفة خلال فترة زمنية قصيرة.

في صيف عام 1814 سافر غوته إلى نهر الراين ومنطقة ماين. وفي فيسبادن التقى بصديقه القديم المصرفي ومروّج المسرح الفرانكفورتي يوهان جاكوب فون ويلمر وتعرّف إلى شريكته ماريانه يونغ التي كانت تصغره بكثير.

وقع غوته ابن الخامسة والستين عاما في حبّ الفتاة الشابة وأصبحت ملهمته وشريكته في (شعر الديوان الغربي الشرقي) الذي صدر في 12 كتاب

وموضوع ونشأ عبر المراسلات الأدبية العاطفية التي نشأت بين الاثنين في ذلك العام.

تضمّنت القصائد التي ألّفت خلال أسابيع فرانكفورت بشكل أساسي في فصل (زليخة). ولم يُكشف عن مشاركة ماريانه في كتابة الديوان حتى عام 1859 حيث أخبرت هيرمان غريم أن بعض قصائد الحبّ المدرجة في هذه المجموعة كانت منها.

في عام 1816 انقطع غوته عن زيارة ماريان ومراسلتها وترك الديوان الغربي الشرقي غير مكتمل لبعض الوقت ثم أكمله في عام 1818.

ظهر الديوان في الأعوام 1816-1818 على دفعات ثم نشر في كتاب واحد عام 1819. ويقسّم إلى 12 فصلا بعناوين فارسية مع ترجمتها الألمانية. ويحمل عنوانا عربيا هو «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي». ويتجلّى فيه حوار الشاعر مع القرآن والشعر الصوفي ويفتتحه غوته بقصيدة «هجرة»:

الشمال والغرب والجنوب تتناثر
وعروش تنفجر وممالك تتزعزع
فلذا أنت في الشرق الطاهر
لتنعم بنسيم الآباء الأقدمين
هناك حيث الطهر والنقاء
أريد أن أنفذ إلى أعماق الأصول
أجناس البشر

حيث تلقوا من الله
تعاليم السماء بلغة الأرض
ولم يكذبوا أذهانهم

في كتابه «المدرسة الرومانسية» مدح هاينريش هاينه مجموعة القصائد مشيراً إلى أن غوته قد وضع فيها «أكبر استمتاع ثمل بالحياة في أبيات شعرية وهي خفيفة جداً ومرحة جداً وتلقائية جداً لدرجة أن المرء يتساءل كيف يمكن شيء كهذا في اللغة الألمانية».

أعوامه الأخيرة:

توفيت زوجته كريستيانه في يونيو من عام 1816. وبعد وفاتها أصبح غوته أكثر ميلا للعزلة واعتنت به زوجة ابنه أوتيلي فون بوغوفيتش. وبخلاف مخاوف غوته خرجت دوقية فايمار عام 1813 منتصرة من الحرب ضد نابليون. وسمح لكارل أغسطس أن يطلق على نفسه لقب «صاحب السمو الملكي». وحصل غوته في ديسمبر من عام 1815 على لقب وزير دولة. وفي عام 1817 أعفي من إدارة مسرح البلاط.

في تلك الفترة نظم غوته كتاباته ومخطوطاته وازداد نشاطه الكتابي بحدّة مع الوعكة الصحية التي تعرّض لها في عام 1823 وكرّس حياته للعمل.

فاستأنف كتابة الجزء الثاني من فاوست. لم يسمح له وضعه الصحّي بالكتابة بنفسه ولم يكن قادراً على التعامل مع المراسلات المكثفة. فلجأ إلى الإملاء وعهد إلى الشاعر الشاب يوهان بيتر إكرمان. وظلّ الأخير ملازما

له وكرّس كل جهوده لخدمته على الرغم من قلة المردود المالي الذي حصل عليه. وقد عينه غوته وصيّا على تحرير ونشر أعماله بعد وفاته.

وفاته:

توفي في 22 مارس من عام 1832 بسبب نوبة قلبية على الأرجح ودفن في سرداب فايمار الأميري.

يشكّك المؤرّخون بمقولة أن كلماته الأخيرة كانت «مزيد من الضوء!» حقيقية. فمصدرها هو طبيب عائلته كارل فوغل الذي لم يكن حاضراً في ساعات غوته الأخيرة.

أهم أعماله:

تتنوع أعمال غوته في مجالات مختلفة وأهمّها أعماله الأدبية. وله بالإضافة إلى ذلك حوالي 3000 لوحة مرسومة وإدارة مسرح وإخراج طيلة 26 سنة في فايمار وتخطيط معماري للبيت الروماني في حديقة إيلم وتحتوي أعماله على وجهات نظره حول الطبيعة والدين وفهمه الجمالي الذي يتخلّلها.

الشعر:

كتب غوته الشعر من شبابه حتى مماته وترك بصمته على حركات أدبية في ذلك العصر مثل (العاصفة والاندفاع) و (كلاسيكية فايمار). وحظي

جزء كبير من شعره باعتراف عالمي ويعدّ ركناً في الأدب المكتوب بالألمانية.

وعلى مدار 65 سنة كتب غوته أكثر من 3000 قصيدة ظهر بعضها بصورة مستقلة وبعضها في دواوين مثل المرثيات الرومانية والسوناتات والديوان الغربي الشرقي أو ثلاثية العشق.

يتضمّن عمل غوته الغنائي مجموعة مذهلة من الأشكال والتعبيرات ويتناسب مع اتساع تجربته الداخلية. وبالإضافة إلى ذلك فإن ل غوته القصائد الطويلة التي تتكون من عدة مئات من الأبيات. وله أيضا قصائد ذات بيتين (مربعات) بالإضافة إلى أبيات ذات تعقيدات لغوية واستعارات وأقوال بسيطة. وله أيضا قصائد على الطراز الكلاسيكي ومقاطع غنائية أو ساخرة وقصائد غير مقفاة وبإيقاعات حرّة.

من الممكن القول إن غوته في مجموع أعماله من خلال أعماله الغنائية قد صقل القصيدة الناطقة بالألمانية وترك نماذج معيارية لمن جاء بعده من الشعراء.

في إنتاجه الشعري جمع غوته ببراعة وتوازن وتلقائية بين جميع الأشكال الشعرية المعروفة في الأدب العالمي القديم والمعاصر. لم يتعامل غوته مع قصائده بترتيب زمنيّ عندما كان يجمعها في دواوين بل جمعها وفقاً لمعايير التماسك الموضوعي حيث يمكن أن تكمل القصائد الفردية بعضها البعض أو تتعارض. وهذا يطرح مشاكل كبيرة في الأبحاث حول شعره عندما يتعلق الأمر بنشر عمله الشعري في طبعات كاملة ونقدية.

تقدّم طبعة هامبورغ التي حققها عالم الألمانيات ايريك ترونتس (1905-2002) لقصائد وملاحم غوته تصنيفاً منهجياً مقبولاً إذ تنقسم الى مجلّدين:

المجلّد الأول يقدّم قصائده المبكرة - بترتيب زمني بعض الشيء - من مرحلة «العاصفة والاندفاع» وقصائد فترة النضوج وقصائد مرحلة كلاسيكية فايمار والأشعار المتأخرة بينما يحتوي المجلّد الثاني على الديوان الغربي الشرقي والثعلب راينكه وهيرمان ودوروثيا وأخيليس.

الأعمال الملحمية

آلام فيرتر:

كانت روايته الأولى (آلام فيرتر) واحدة من أعظم النجاحات في تاريخ الأدب الألماني وقد استخدم فيها أسلوب الرواية الرسائلية السردي الذي كان سائدا في القرن الثامن عشر. لكنه قام بكتابة رواية تقوم على رسائل من طرف واحد (مونولوغ) بدلا من رسائل بين الشخصيات.

ومن خلال التناول الحسّاس لقصة حبّه التي لم تتحقق مع شارلوت بوف في فيتسلار أطلق غوته نموذجاً يحتذى في روايته. فصارت أزياء فيرتر موضة وارتدى الناس مثل ملابسه (معطف أزرق بنطلون أصفر حذاء بني) وصاروا يقلّدونه في الحديث والكتابة. وكان هناك أيضاً الكثير ممن قلدوه في الانتحار.

حظي غوته بشهرته وسمعته الأوروبية المبكرة بسبب هذه الرواية (آلام فيرتر) والتي أصبحت متوفرة بمعظم اللغات الأوروبية بحلول عام 1800.

وحتى نابليون رغب في لقائه التاريخي مع غوته في 2 أكتوبر 1808 في إرفورت بالحديث عن هذا الكتاب.

فيلهلم مايستر:

تحتلّ رواية (فيلهلم مايستر) موقعاً مركزياً في عمل غوته الملحمي. ويعتبر الرومانسيون رواية (سنوات تعلّم فيلهلم ميسترز) لهرجير حدثاً تاريخياً وأنموذجا للرواية الرومانسية. في حين يراها الكتاب الواقعيون بأنها فاتحة لتاريخ الرواية التربوية في اللغة الألمانية.

إن رسالة (فيلهلم مايستر) المسرحية التي نُشرت بعد وفاة غوته بعقود (1911) وهي أجزاء من محاولات كتابة (فيلهلم مايستر) الأولى فهي أقرب إلى تيار «العاصفة والاندفاع» الأدبي وتصنَّف نوعاً من المسرح أو «الرواية الفنية».

التجاذب الاختياري:

يصف غوته في إحدى محادثاته رواية (التجاذب الاختياري) بأنها أفضل كتبه. وفيها يجمع غوته بين أربعة أزواج ويصوغ مصيرهم المرتبط بالطبيعة وفقاً لنموذج قوى التجاذب والتنافر الكيميائية جاعلاً إياها قانوناً في العلاقات بين الزوجين.

تتناول الرواية التناقض بين الشكليات الأخلاقية في الحياة والعواطف الغامضة وتتشابه مع روايته الأولى (آلام فيرتر) في ادّعاء «الحب غير المشروط بل اللامبالي» لدى واحد من الشخصيات الرئيسية (إدوارد) الذي يقف على نقيض «التضحية» لدى الآخرين.

وقد اعتبر توماس مان هذه الرواية «أكثر أعمال غوته مثالية». تعدّ الرواية كذلك عمله الكبير الوحيد الذي حاول تقديم فكرة شاملة وفقاً لشهادة غوته نفسه.

الرحلة الإيطالية:

إن تصنيف كتاب (الرحلة الايطالية) الذي نشره غوته بعد عقود من رحلته على أنه أدب رحلات ليس دقيقاً بل هو تصوير للذات في لقاءات مع المكان أو قطعة من السيرة الذاتية. وقد ظهرت طبعته الأولى بالفعل في 1816-1817 بصفة «القسم الثاني» من سيرته الذاتية في حين احتوى القسم الأول على (الخيال والحقيقة).

إن الرسائل التي أرسلها غوته من إيطاليا إلى كل من شارلوته فون شتاين وهردر واستخدمها لاحقاً في تحرير النص لم ينشرها غوته كاملا حتى عام 1829 حين نشرها تحت عنوان (الرحلة الإيطالية) التي احتوت على جزء ثان هو «إقامة رومانية ثانية».

الشعر والحقيقة:

عمل غوته في العقد الأول من القرن التاسع عشر على كتابة سيرة ذاتية كبيرة كان مفهومها الأصلي عبارة عن تاريخ تعليمي للشاعر وتحوّلاته. لكنه واجه في الجزء الثالث أزمة مع نموذج التفسير هذا فاستبدلها بفئة «الشيطاني» التي سعى بها إلى التقاط ما لا يمكن السيطرة عليه في سياق

طبيعي وتاريخي طاغ. ولم يتجاوز هذا العمل وصف الطفولة والشباب والدراسة والنجاحات الأدبية الأولى.

الدراما:

كتب غوته أكثر من عشرين عملا دراميا منها غوتس فون برليشنغن وكلافيغو وايغمونت وستيلا وايفيغينيه في تاورس وتوركواتو تاسو وبالطبع فاوست التي ظلت بجزئيها من كلاسيكيات المسرح الألماني إلى اليوم.

وعلى الرغم من أن مسرحياته تشمل مجموعة كاملة من الأشكال المسرحية مثل قصص الرعاة والمهزلةوالسخرية والكوميديا والدراما البطولية إلا أن المأساة تشكل الدراما والمآسي الكلاسيكية والمحور الرئيسي في إنتاجه الدرامي. وقد أصبحت ثلاثة من مسرحياته معالم بارزة في الأدب الدرامي الألماني.

غوتس من برليشنغن:

حقق غوته بدراما (غوتس من برليشنغن) ابنة حركة «العاصفة والاندفاع» اختراقاً مسرحياً كبيراً وأصبح مشهوراً بين عشيّة وضحاها. ورأى فيه معاصروه «شيئاً من روح شكسبير» التي تتشابه معها تراجيديا ايغمونت التي تدور حول شخصية مهيمنة واحدة تعمل أيضاً وكيلة للمؤلف الذي كان يرى أعماله «أجزاء من مذهب عظيم».

رفض غوته نظرية (يوهان كريستوف غوتشيد) المسرحية التي كانت تركّز على الدراما الكلاسيكية الفرنسية (في المقام الأول بيير كورني وجان بابتيست راسين) كما رفض قبله إفرايم ليسينغ.

بعد أن عرّفه هردر في ستراسبورغ على مسرحيات شكسبير بدت له وحدة المكان والحركة التي طالب بها بغوتشيد - وفقاً لأرسطو - سجنا وقيودا للمخيلة والتي تتنافى مع منطق «العاصفة والاندفاع».

وبقصة (غوتس فون بيرليشينغن) حصل غوته على مادة وطنية ألمانية تتوافق مع مادة شكسبير الوطنية الإنجليزية. ولم يجرؤ غوته لاحقا على استخدام الشكل الدرامي المفتوح المختار في غوتس إلا في فاوست.

فاوست:

عمل غوته على مأساة فاوست لأكثر من ستين عاماً وعدّها أحد خبراء فاوست «ملخّصا لشعره». وبروايته فاوست تناول غوته مادة عصر النهضة حول الغطرسة البشرية وركّزها على السؤال عما إذا كان من الممكن التوفيق بين السعي وراء المعرفة والرغبة في السعادة.

أطلق هاينريش هاينه على مسرحية فاوست «إنجيل الالمان العلماني». وأشاد الفيلسوف هيجل بالدراما ووصفها بأنها «مأساة فلسفية مطلقة» حيث عدم الرضا عن العلم من ناحية وحيوية الحياة الدنيوية والمتعة الأرضية من ناحية أخرى... يعطيان اتساعاً في المحتوى لم يجرؤ على مثله في نفس العمل شاعر درامي آخر من قبل».

تحوّل فاوست بعد تأسيس الإمبراطورية الألمانية إلى أسطورة وطنية تجسّد الشخصية الألمانية والإحساس الألماني بالرسالية. أما التفسيرات الحديثة فلا تقبل تفاؤل الفاوستيين التقليدي الذي يقتدي بأنموذج قائم على الرغبة المستمرة في الكمال وتشير بدلا من ذلك إلى «حظر الراحة» و«الإكراه على الحركة» في شخصية حديثة لـفاوست كلاعب عالمي.

أما الأعمال الدرامية اللاحقة فقد اقترب غوته تحت تأثير ليسينج من الدراما البرجوازية (ستيلا و كلافيغو) وعاد إلى اتخاذ الأشكال الكلاسيكية التي تظهر واضحة في إيفيغييه حيث يحافظ على وحدة المكان (البستان أمام معبد ديانا) والزمان.

كتابات في الفن والأدب:

تناول غوته بداية من أعماله المبكرة أسئلة الفن والأدب. فعلى سبيل المثال كتب في أوائل سبعينيات القرن الثامن عشر خطابا في يوم شكسبير (1771). كما تناول في كتابه فن العمارة الألماني (1772) كاتدرائية ستراسبورغ وبانيها إرفين فون شتاينباخ.

في وقت لاحق كتب تقييماً مفصّلاً للوحة دافنشي «العشاء الأخير» (1818) أهمل فيه الطابع القداسي للعمل واستخدمه مثالا لإظهار الاستقلال الفني بقوانينه الداخلية الخاصة.

كتب غوته كذلك الكثير من الأعمال النظرية حول الفن والأدب مثل مقال حول لاوكون نُشر في المجلد الأول من مجلته «بروبيلين» في عام 1798

وترجمة السيرة الذاتية لفنان عصر النهضة الإيطالي بينفينوتو تشيليني نشر عام 1803. كما نشر كتابا من مجموعة مقالات حول فينكلمان وعصره.

تضمّن كتاب «رسائل ومقالات» الذي حرّره عام 1805 تصويرا لشخصية فينكلمان وأعماله. وأكّد هذا الكتاب أيضا فكرة غوته عن الأدب العالمي الناشئ.

رسائل:

ما زالت حوالي 12,000 رسالة من غوته و20,000 رسالة إليه محفوظة إلى اليوم. وتتضمّن المراسلات المهمّة بين غوته وشيلر بمفردهما على 1015 رسالة محفوظة. كما أرسل غوته حوالي 1500 رسالة إلى شارلوته فون شتاين.

الرسومات:

مارس غوته الرسم طوال حياته وكان يفضل استخدام قلم الرصاص والفحم والطباشير والحبر الملون كما رسم بتقنية التنميش. وما زالت بعض نقوشه المبكرة محفوظة. كانت موضوعاته المفضلة هي الوجوه والمشاهد المسرحية والمناظر الطبيعية.

وقد أنتج المئات من الرسومات خلال رحلته الأولى إلى سويسرا عام 1775 وفي رحلته إلى إيطاليا في الاعوام 1786-1788. وفي روما علّمه زملاؤه الفنانون الرسم المنظوري وحفزوه على دراسة علم التشريح البشري الذي تلقى فيه دروسا لدى الجراح الشهير يوهان لوبشتاين.

ترجمات:

ترجم غوته إلى الألمانية أعمالاً مهمّة:

*من الفرنسية (فولتير و كورنيل و جان راسين و ديدرو و دي ستايل).
*ومن الإنجليزية (شكسبير و ماكفيرسون و اللورد بايرون).
*ومن الإيطالية (بينفينوتو سيليني و مانزوني).
*ومن الإسبانية (كالديرون).
*ومن اليونانية القديمة (بندار و هوميروس و سوفوكليس و يوريبيدس).
*كما ترجم من الكتاب المقدس سفر نشيد الأنشاد.

ترجمات إلى العربية:

بدأت ترجمة أعمال غوته إلى اللغة العربية في بداية القرن العشرين بترجمة أحمد رياض لرواية آلام فيرتر التي ظهرت في القاهرة عام 1919. وتبعتها ترجمات أخرى لهذه الرواية ولمسرحية فاوست على أيدي عدد من المترجمين: أهمّهم إسماعيل كامل ومحمد عوض محمد ومحمد عبد الحليم كرارة وسهيل أيوب وعبد الرحمن البدوي وعبد الغفار مكاوي. وقد أنجزت هذه الترجمات من الألمانية مباشرة أو نقلاً عن الترجمات الإنكليزية أو الفرنسية.

فاوست:

*ترجم محمد عبد الحليم كرارة (فاوست) ترجمة نثرية وصدرت عن منشأة المعارف الإسكندرية عام 1959.

*محمد عوض محمد ترجمها مباشرة من اللغة الألمانية وظهرت بمقدمة مفصّلة بقلم طه حسين وقد صدرت عن لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة عام 1971.

*عبد الرحمن بدوي ترجمها من الألمانية وظهرت في عام 1989 على ثلاث حلقات في سلسلة «من المسرح العالمي» الصادرة عن وزارة الثقافة الكويتية. كما ظهرت في طبعة جديدة في سلسلة «أعمال خالدة» دار المدى دمشق عام 1998.

*سهيل أيوب ترجمها من ترجمتها الإنكليزية مع الاستعانة بالترجمة الفرنسية. ويعدّها بعض النقاد الترجمة الأكثر دقة لهذه المسرحية. وقد صدرت عن دار الينابيع دمشق عام 1981.

آلام فيرتر:

بعد ترجمة أحمد رياض الأولى التي صدرت عام 1919 عن مطبعة التقدم في القاهرة ظهرت عدة ترجمات لهذه الرواية كان معظمها من الإنكليزية أو الفرنسية وأهمّها:

*أحمد حسن الزيات من الفرنسية بمقدمة من طه حسين صدرت عام 1924 وأعادت طباعتها لاحقاً عدة دور نشر منها لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة عام 1961 ودار القلم بيروت.

*عمر عبد العزيز أمين دار الجيب القاهرة عام 1927 والدار القومية للطباعة والنشر القاهرة عام 1951.

*نخلة ورد مطبعة العلوم والآداب دمشق عام 1950.

*نظمي لوقا روايات الهلال 346 دار الهلال القاهرة عام 1977.

*فؤاد فريد سلسلة القصص العالمية للجميع دار الشرق العربي بيروت.

*عبد الرحمن بدوي.

*نجم والي من الألمانية دار نشر صفصافة الجيزة عام 2015.

غوتس فون برليشنغن:

*مصطفى ماهر القاهرة عام 1975.
*عبد الرحمن بدوي سلسلة من المسرح العالمي 117 وزارة الإعلام الكويت عام 1979.

توركواتو تاسو:

*عبد الغفار مكاوي صدرت عام 1967 طبعة حديثة عن مؤسسة هنداوي المملكة المتحدة عام 2020.

*عبد الرحمن بدوي سلسلة من المسرح العالمي 132 وزارة الإعلام الكويت عام 1979.

أعمال أخرى:

*الأنساب المختارة: عبد الرحمن البدوي دار الأندلس بيروت عام 1980.

*الديوان الشرقي: عبد الرحمن بدوي المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت عام 1980.

*هرمن ودورتيه: محمد عوض محمد دار طلاس دمشق عام 1985.

*ثلاث مسرحيات: شتيلا وأم وأخت و بروميثيوس مصطفى ماهر المجلس الأعلى للثقافة القاهرة عام 1988.

*مختارات شعرية ونثرية: أبو العيد دودو منشورات الجمل ألمانيا .1999[8]

8

المراجع

باللغة العربية:

*بركة محمد سيد (14 أغسطس 2015). الديوان الشرقي للمؤلف الغربي .. **غوته المتيّم بالإسلام.**

*ماهر مصطفى (1 نوفمبر 1979). الديوان الشرقي الغربي الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

*محمد القاضي (2010). معجم السرديات. المنهل.

*بعلي حفناوي (2018). الترجمة وجماليات التلقي – المبادلات الفكرية الثقافية دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.

*عبود عبده (2002). العلاقات الأدبية السورية الألمانية المعاصرة واقعها وآفاقها مجلة جامعة دمشق.

*والي نجم (2019). آلام الشاب فرتر. دارالمنهل.

تراث العلّامة

محمد إقبال لاهوري

في باكستان أحيوا ذكرى العلامة محمد إقبال بشكل واسع. هو يعتبر هناك ب (المؤسّس النظري لدولة باكستان). هناك كثير من المؤسسات العامة التي تحمل اسم إقبال من أمثال:

*حرم جامعة العلامة إقبال في بنجاب.

*جامعة في لاهور.

*الكلية الطبية باسم العلامة إقبال في لاهور.

*مدرج للألعاب الرياضية باسم العلامة إقبال في فيصل آباد.

*الجامعة المفتوحة في باكستان باسم العلامة إقبال.

*المؤسسة التذكارية في سرينكار (كشمير) باسم إقبال.

*مكتبة جامعة كشمير باسم العلامة إقبال.

*المطار الدولي في لاهور باسم العلامة إقبال.

*نزل الجامعة الحكومية في لاهور.

* قاعة الكلية الطبية في ملتان باسم العلامة إقبال.

*بلدة باسم حديقة إقبال في كرجي.

*بلدة في لاهور باسم العلامة إقبال.

*قاعة العلامة إقبال في جامعة علي كار الإسلامية.

*نزل العلامة إقبال في جامعة ملّية في نيو دلهي.

*قاعة العلامة إقبال في جامعة الهندسة والتقنية في لاهور.

إن أكاديمية إقبال في لاهور قد نشرت مجلّة باسم إقبال باللغات الفارسية والانجليزية والأردية.

في الهند أغنية إقبال باسم (ترانه هند) تنشد كرارا ومرارا كأغنية وطنية تتكلم عن انسجام شعبي.

في عام 1978 انبعثت وثائقيّة هندية عن الدكتور محمد إقبال كتبها علي سردار جين من إنتاج قسم الأفلام في الحكومة الهندية.

تعطي حكومة ماديا برادش في الهند جوائز سنويا باسم إقبال تكريما للشاعر الى الكتاب الهنود لإسهاماتهم في الأدب والشعر الأردي.

إن حكومة باكستان ترعى تأسيس المؤسسات التعليمية والكليات والمدارس هدية وتكريسا وتكريما لإقبال. وقد أسّست حكومة باكستان أكاديمية إقبال للبحث العلمي وتعليم أعمال إقبال في الأدب والفلسفة وحفظها.

أسّست جمعيّة طوابع العلامة إقبال للترويج لهواة جمع الطوابع والهوايات أخرى.

ابنه جاويد إقبال خدم في المحكمة العليا في باكستان وكان منزله هو آخر منزل سكن فيه العلامة إقبال.